الإمام النسائي

من مشاهير أعلام المسلمين

الإمام النسائي

هو الإمام الحافظ الثبت شيخ الإسلام ناقد الحديث أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر الخراساني النسائي صاحب السنن.

ولد بنسا في سنة ٢١٥هـ وطلب العلم في صغره فارتحل إلى قتيبة في سنة ٢٣٠هـ فأقام عنده بمدينة بغلان سنة فأكثر عنه، ومن شيوخه إسحاق بن راهويه، وهشام بن عمار، ويروي عن رفقائه.

مكانته العلمية:

كان من بحور العلم مع الفهم والإتقان والبصر، ونقد الرجال وحسن التأليف، رحل في طلب العلم في خراسان والحجاز ومصر والعراق والجزيرة والشام والثغور ثم استوطن مصر ورحل الحفاظ إليه ولم يبق له نظير في هذا الشأن.

حدث عنه أبو بشر الدولابي وأبو جعفر الطحاوي وأبو على النيسابوري وغيرهم كثير.

قال الحافظ ابن طاهر سألت سعد بن على الزنجاني عن رجل فوثقه فقلت قد ضعفه النسائي فقال: يا بني إن لأبي عبد الرحمن شرطًا في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلمُ قلت: صدق فإنه ليَّن جماعة من رجال صحيحي البخاري ومسلم.

قال الحاكم: كلام النسائي على فقه الحديث كثير، ومن نظر في سننه تحير في حسن كلامه، وقال ابن الأثير في أول جامع الأصول: كان شافعيا له مناسك على مذهب الشافعي وكان ورعًا متحريًّا، قيل: إنه أتى الحارث بن مسكين في زي أنكره عليه قلنسوة وقباء وكان

الحارث خائفا من أمور تتعلق بالسلطان، فخاف أن يكون عيناً عليه فمنعه، فكان يجيء فيقعد خلف الباب ويسمع، ولذلك ما قال: حدثنا الحارث وإنما يقول: قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع.

قال مأمون المصري المحدث خرجنا إلى طرسوس مع النسائي سنة الفداء فاجتمع جماعة من الأئمة عبد الله بن أحمد بن حنبل ومحمد بن إبراهيم مربع وأبو الآذان فتشاوروا من ينتقي لهم على الشيوخ فأجمعوا على أبي عبد الرحمن النسائي وكتبوا كلهم بانتخابه.

وقال أبو طالب أحمد بن نصر الحافظ من يصبر على ما يصبر عليه النسائي عنده حديث ابن لهيعة ترجمة ترجمة يعني عن قتيبة عن ابن لهيعة قال فما حدث بها.

مناقبه وفضائله:

قال محمد بن المظفر الحافظ: سمعت مشايخنا بمصر يصفون اجتهاد النسائي في العبادة بالليل والنهار وأنه خرج إلى الفداء مع أمير مصر فوصف من شهامته وإقامته السنن المأثورة في فداء المسلمين واحترازه عن مجالس السلطان الذي خرج معه والانبساط في المأكل، وأنه لم يزل ذلك دأبه إلى أن استشهد بدمشق من جهة الخوارج.

ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ أبو على النيسابوري:الإمام في الحديث بلا مدافعة أبو عبد الرحمن النسائي.

وقال أبو الحسن الدارقطني: أبو عبد الرحمن مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره.

وقال الدارقطني: كان أبو بكر بن الحداد الشافعي كثير الحديث، ولم يحدث عن غير النسائي، وقال رضيت به حجة بيني وبين الله تعالى

قال أبو سعيد بن يونس في تاريخه، كان أبو عبد الرحمن النسائي إمامًا حافظًا ثبتًا.

قال أبو عبد الله بن منده الذين أخرجوا الصحيح، وميزوا الثابت من المعلول والخطأ من الصواب أربعة: البخاري ومسلم وأبو داود، وأبو عبد الرحمن النسائي.

وفاته:

روى أبو عبد الله بن مندة عن حمزة العقبي المصري وغيره أن النسائي خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق، فسئل بها عن معاوية وما جاء في فضائله، فقال: لا يرضى رأسًا برأس حتى يفضل قال: فما زالوا يدفعون في حضنيه حتى أخرج من المسجد، ثم حمل إلى مكة فتوفي بها كذا قال وصوابه إلى الرملة.

وقال الدار قطني خرج حاجا فامتحن بدمشق، وأدرك الشهادة، فقال: احملوني إلى مكة فحمل وتوفي بها، وهو مدفون بين الصفا والمروة، وكانت وفاته في شعبان سنة ٣٠٣هـ قال: وكان أفقه مشايخ مصر في عصره وأعلمهم بالحديث والرجال.

تراث النسائي:

ترك النسائي مجموعة من الكتب أهمها كتاب السنن، وهو الذي عرف به وجاء في سير أعلام النبلاء عن كتبه الأخرى " قد صنف مسند على وكتابا حافلا في الكنى وأما كتاب خصائص عليٍّ فهو داخل في سننه الكبير، وكذلك كتاب عمل اليوم والليلة، وهو مجلد هو من جملة السنن الكبير في بعض النسخ، وله كتاب التفسير في مجلد، وكتاب الضعفاء وأشياء والذي وقع لنا من سننه هو الكتاب المجتبى منه انتخاب أبي بكر بن السني سمعته ملفقًا من جماعة سمعوه من ابن باقا بروايته عن أبي زرعة المقدسي سماعا لمعظمه، وإجازة لفوت له محدد في الأصل[1].

* * *

(١) المصدر: كتاب جامع الأصول.

الإمام النّووي

من مشاهير أعلام المسلمين

الإمام النووي

هو صاحب أشهر ثلاثة كتب يكاد لا يخلو منها بيت مسلم وهي " الأربعين النووية " و" الأذكار " و" رياض الصالحين "، وبالرغم من قلة صفحات هذه الكتب، وقلة ما بذل فيها من جهد في الجمع والتأليف إلا أنها لاقت هذا الانتشار والقبول الكبيرين بين الناس، وقد عزى كثير من العلماء ذلك، إلى إخلاص النووي رحمه الله، فرب عمل صغير تكبره النية.

فمع سيرة الإمام النووي ومواقف من حياته.

نسَبُه ومَوْلده:

هو الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، محيي الدين أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حِزَام، النووي نسبة إلى نوى، وهي قرية من قرى حَوْران في سورية، ثم الدمشقي الشافعي، شيخ المذاهب وكبير الفقهاء في زمانه.

ولد النووي رحمه الله تعالى في المحرم ٦٣١ هـ في قرية نوى من أبوين صالحين، ولما بلغ العاشرة من عمره بدأ في حفظ القرآن وقراءة الفقه على بعض أهل العلم هناك، وصادف أن مرَّ بتلك القرية الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي، فرأى الصبيانَ يُكرِهونه على اللعب وهو يهربُ منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن، فذهب إلى والده ونصحَه أن يفرّغه لطلب العلم، فاستجاب له.

وفي سنة ٦٤٩ هـ قَدِمَ مع أبيه إلى دمشق لاستكمال تحصيله العلمي في مدرسة دار الحديث، وسكنَ المدرسة الرواحية، وهي

ملاصقة للمسجد الأموي من جهة الشرق.

وفي عام ٦٥١ هـ حجَّ مع أبيه ثم رجع إلى دمشق.

أخلاقُهُ وَصفَاتُه:

أجمعَ أصحابُ كتب التراجم أن النووي كان رأساً في الزهد، وقدوة في الورع، وعديم النظير في مناصحة الحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويطيب لنا في هذه العجالة عن حياة النووي أن نتوقف قليلاً مع هذه الصفات المهمة في حياته:

الزهد:

تفرَّغَ الإمام النووي من شهوة الطعام واللباس والزواج، ووجد في لذّة العلم التعويض الكافي عن كل ذلك. والذي يلفت النظر أنه انتقل من بيئة بسيطة إلى دمشق حيث الخيرات والنعيم، وكان في سن الشباب حيث قوة الغرائز، ومع ذلك فقد أعرض عن جميع المتع والشهوات وبالغ في التقشف وشظف العيش.

الطورع:

وفي حياته أمثلة كثيرة تدلُّ على ورع شديد، منها أنه كان لا يأكل من فواكه دمشق، ولما سُئل عن سبب ذلك قال: إنها كثيرة الأوقاف، والأملاك لمن تحت الحجر شرعاً، ولا يجوز التصرّف في ذلك إلا على وجه الغبطة والمصلحة، والمعاملة فيها على وجه المساقاة، وفيها اختلاف بين العلماء. ومن جوَّزَها قال: بشرط المصلحة والغبطة لليتيم والمحجور عليه، والناس لا يفعلونها إلا على جزء من ألف جزء من الثمرة للمالك، فكيف تطيب نفسي؟. واختار النزول في المدرسة الرواحيّة على غيرها من المدارس لأنها كانت من بناء بعض التجّار.

وكان لدار الحديث راتب كبير فما أخذ منه فلساً، بل كان يجمعُها عند ناظر المدرسة، وكلما صار له حق سنة اشترى

بـه ملكـاً ووقفـه علـى دار الحـديث، أو اشـترى كتبـاً فوقفهـا علـى خزانـة المدرسـة، ولـم يأخـذ مـن غيرهـا شـيئاً. وكـان لا يقبـل مـن أحـد هديـةً ولا عطيّـةً إلا إذا كانـت بـه حاجـة إلـى شـيء وجـاءه ممّـن تحقـق دينـه. وكـان لا يقبـل إلا مـن والديـه وأقاربـه، فكانـت أُمُّـه ترسـل إليـه القمـيص ونحـوه ليلبسـه، وكـان أبـوه يُرسـل إليـه مـا يأكلـه، وكـان ينـام فـي غرفتـه التـي سكن فيهـا يـوم نـزل دمشـق في المدرسة الرواحية، ولم يكن يبتغي وراء ذلك شيئاً.

مُناصحَتُه الحُكّام:

لقد تـوفرت فـي النـووي صـفات العـالم الناصـح الـذي يُجاهـد فـي سـبيل الله بلسـانه، ويقـوم بفريضـة الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر، فهـو مخلـصٌ فـي مناصـحته ولـيس لـه أيّ غـرض خـاص أو مصـلحة شخصـية، وشـجاعٌ لا يخشـى فـي الله لومـة لائـم، وكـان يملك البيان والحجة لتأييد دعواه.

وكان الناسُ يرجعون إليه في الملمّات والخطوب ويستفتونه، فكان يُقبل عليهم ويسعى لحلّ مشكلاتهم، كما في قضية الحوطة على بساتين الشام:

لمـا ورد دمشـقَ مـن مصـرَ السـلطانُ الملـكُ الظـاهرُ بيبـرسُ بعـد قتـال التتـار وإجلائهـم عـن البـلاد، زعـم لـه وكيـل بيـت المـال أن كثيـراً مـن بسـاتين الشـام مـن أمـلاك الدولـة، فـأمر الملـك بالحوطـة عليهـا، أي بحجزهـا وتكليـف واضـعي اليـد علـى شـيءٍ منهـا إثبـات ملكيتـه وإبـراز وثائقـه، فلجـأ النـاس إلـى الشـيخ فـي دار الحـديث، فكتـب إلـى الملـك كتابـاً جـاء فيـه: " وقـد لحـق المسـلمين بسـبب هـذه الحوطـة علـى أملاكهـم أنـواعٌ مـن الضـرر لا يمكـن التعبيـر عنهـا، وطُلـب مـنهم إثبـاتٌ لا يلـزمهم، فهـذه الحوطـة لا تحـلّ عنـد أحـد مـن علمـاء المسـلمين، بـل مَـن فـي يـده شـيء فهـو ملكـه لا يحـلّ الاعتـراض عليـه ولا يُكلَّـفُ إثباتـه "

فغضب السلطان من هذه الجرأة عليه وأمر بقطع رواتبه وعزله عن مناصبه، فقالوا له: إنه ليس للشيخ راتب وليس له منصب. لما رأى الشيخ أن الكتاب لم يفِدْ، مشى بنفسه إليه وقابله وكلَّمه كلاماً شديداً، وأراد السلطان أن يبطشَ به فصرف اللَّه قلبَه عن ذلك وحمى الشيخَ منه، وأبطلَ السلطانُ أمرَ الحوطة وخلَّصَ اللَّه الناس من شرّها.

حَيَاته العلميّة:

تميزت حياةُ النووي العلمية بعد وصوله إلى دمشق بثلاثة أمور:

الأول: الجدّ في طلب العلم والتحصيل في أول نشأته وفي شبابه، وقد أخذ العلم منه كلَّ مأخذ، وأصبح يجد فيه لذة لا تعدِلُها لذة، وقد كان جادًّا في القراءة والحفظ، وقد حفظ التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وحفظ ربع العبادات من المهذب في باقي السنة، واستطاع في فترة وجيزة أن ينال إعجاب وحبَّ أستاذه أبي إبراهيم إسحاق بن أحمد المغربي، فجعلَه مُعيد الدرس في حلقته. ثم درَّسَ بدار الحديث الأشرفية، وغيرها.

الثاني: سعَة علمه وثقافته، وقد جمع إلى جانب الجدّ في الطلب غزارة العلم والثقافة المتعددة، وقد حدَّثَ تلميذُه علاء الدين بن العطار عن فترة التحصيل والطلب، أنه كان يقرأ كلَّ يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً، درسين في الوسيط، وثالثاً في المهذب، ودرساً في الجمع بين الصحيحين، وخامساً في صحيح مسلم، ودرساً في اللمع لابن جنّي في النحو، ودرساً في إصلاح المنطق لابن السكّيت في اللغة، ودرساً في الصرف، ودرساً في أصول الفقه، وتارة في اللمع لأبي إسحاق، وتارة في المنتخب للفخر الرازي، ودرساً في أسماء الرجال، ودرساً في أصول الدين، وكان يكتبُ جميعَ

ما يتعلق بهذه الدروس من شرح مشكل وإيضاح عبارة وضبط لغة.

الثالث: غزارة إنتاجه، اعتنى بالتأليف وبدأه عام ٦٦٠ هـ، وكان قد بلغ الثلاثين من عمره، وقد بارك الله له في وقته وأعانه، فأذاب عُصارة فكره في كتب ومؤلفات عظيمة ومدهشة، تلمسُ فيها سهولةُ العبارة، وسطوعَ الدليل، ووضوحَ الأفكار، والإنصافَ في عرض آراء الفقهاء، وما زالت مؤلفاته حتى الآن تحظى باهتمام كل مسلم، والانتفاع بها في سائر البلاد. ويذكر الإسنوي تعليلاً لطيفاً ومعقولاً لغزارة إنتاجه فيقول: اعلم أن الشيخ محيي الدين رحمه الله لمّا تأهل للنظر والتحصيل، رأى أن من المسارعة إلى الخير؛ أن جعل ما يحصله ويقف عليه تصنيفاً ينتفع به الناظر فيه، فجعل تصنيفه تحصيلاً، وتحصيله تصنيفاً، وهو غرض صحيح وقصد جميل، ولولا ذلك لما تيسر له من التصانيف ما تيسر له ".

ومن أهم كتبه:

" شرح صحيح مسلم " و" المجموع " شرح المهذب، و" رياض الصالحين " و" تهذيب الأسماء واللغات "، والروضة روضة الطالبين وعمدة المفتين "، و" المنهاج في الفقه " و" الأربعين النووية " و" التبيان في آداب حَمَلة القرآن " و" الأذكار " حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبّة في الليل والنهار "، و" الإيضاح " في المناسك.

شيوخه:

من شيوخه في الفقه:

١- عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري، تاج الدين، عُرف بالفِرْكاح، توفي سنة ٦٩٠ هـ.

٢- إسحاق بن أحمد المغربي، الكمال أبو إبراهيم، محدّث

المدرسة الرواحيّة، توفي سنة ٦٥٠ هـ.

٣- عبد الرحمن بن نوح بن محمد بن إبراهيم بن موسى المقدسي ثم الدمشقي، أبو محمد، مفتي دمشق، توفي سنة ٦٥٤ هـ.

٤- سلاَّر بن الحسن الإِربلي، ثم الحلبي، ثم الدمشقي، إمام المذهب الشافعي في عصره، توفي سنة ٦٧٠ هـ.

ومن شيوخه في الحديث:

١- إبراهيم بن عيسى المرادي، الأندلسي، ثم المصري، ثم الدمشقي، الإِمام الحافظ، توفي سنة ٦٦٨ هـ.

٢- خالد بن يوسف بن سعد النابلسي، أبو البقاء، زين الدين، الإِمام المفيد المحدّث الحافظ، توفي سنة ٦٦٣ هـ.

٣- عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري، الحموي، الشافعي، شيخ الشيوخ، توفي سنة ٦٦٢ هـ.

٤- عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي، أبو الفرج، من أئمة الحديث في عصره، توفي سنة ٦٨٢ هـ.

٥- عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد الحرستاني، أبو الفضائل، عماد الدين، قاضي القضاة، وخطيب دمشق. توفي سنة ٦٦٢ هـ.

٦- إسماعيل بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي اليُسْر التنوخي، أبو محمد تقي الدين، كبير المحدّثين ومسندهم، توفي سنة ٦٧٢ هـ.

٧- عبد الرحمن بن سالم بن يحيى الأنباري، ثم الدمشقي الحنبلي، المفتي، جمال الدين. توفي سنة ٦٦١ هـ.

٨- ومنهم: الرضي بن البرهان، وزين الدين أبو العباس بن عبد الدائم المقدسي، وجمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي الفتح الصيرفي

الحرّاني، وأبو الفضل محمد بن محمد بن محمد البكري الحافظ، والضياء ابن تمام الحنفي، وشمس الدين بن أبي عمرو، وغيرهم من هذه الطبقة.

ومن شيوخه في علم الأصول:

أما علم الأصول، فقرأه على جماعة، أشهرهم: عمر بن بندار بن عمر ابن على بن محمد التفليسي الشافعي، أبو الفتح. توفي سنة ٦٧٢ هـ.

تلاميذه:

ومن شيوخه في النحو واللغة:

وأما في النحو واللغة، فقرأه على: الشيخ أحمد بن سالم المصري النحوي اللغوي، أبي العباس، توفي سنة ٦٦٤ هـ. والفخر المالكي. والشيخ أحمد بن سالم المصري.

مسموعاته:

سمع النسائي، وموطأ مالك، ومسند الشافعي، ومسند أحمد بن حنبل، والدارمي، وأبي عوانة الإِسفراييني، وأبي يعلى الموصلي، وسنن ابن ماجه، والدارقطني، والبيهقي، وشرح السنّة للبغوي، ومعالم التنزيل له في التفسير، وكتاب الأنساب للزبير بن بكار، والخطب النباتية، ورسالة القشيري، وعمل اليوم والليلة لابن السني، وكتاب آداب السامع والراوي للخطيب البغدادي، وأجزاء كثيرة غير ذلك.

عزَّ العزاءُ وعمَّ الحادث الجلل ::: وخاب بالموت في تعميرك الأمل

وكان ممّن أخذ عنه العلم: علاء الدين بن العطار، وشمس الدين ابن النقيب، وشمس الدين بن جَعْوان، وشمس الدين بن القمَّاح، والحافظ جمال الدين المزي، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، ورشيد الدين الحنفي، وأبو العباس أحمد بن فَرْح الإِشبيلي، وخلائق.

وَفَاته:

وفي سنة ٦٧٦ هـ رجع إلى نوى بعد أن ردّ الكتب المستعارة من الأوقاف، وزار مقبرة شيوخه، فدعا لهم وبكى، وزار أصحابه الأحياء وودّعهم، وبعد أن زار والده بيت المقدس والخليل، وعاد إلى نوى فمرض بها وتوفي في ٢٤ رجب.

ولما بلغ نعيه إلى دمشق ارتجّت هي وما حولها بالبكاء، وتأسف عليه المسلمون أسفاً شديداً، وتوجّه قاضي القضاة عزّ الدين محمد بن الصائغ وجماعة من أصحابه إلى نوى للصلاة عليه في قبره، ورثاه جماعة، منهم محمد بن أحمد بن عمر الحنفي الإربلي، وقد اخترت هذه الأبيات من قصيدة بلغت ثلاثة وثلاثين بيتاً:

واستوحشت بعدما كنت الأنيس لها ::: وساءَها فقدك الأسحارُ والأصلُ
وكنت للدين نوراً يُستضاء به مسدَّد ::: منك فيه القولُ والعملُ
زهدتَ في هذه الدنيا وزخرفها ::: عزماً وحزماً ومضروب بك المثل
أعرضت عنها احتقاراً غير محتفل ::: وأنت بالسعي في أخراك محتفل

وهكذا انطوت صفحة من صفحات عَلَم من أعلاَم المسلمين، بعد جهاد في طلب العلم، ترك للمسلمين كنوزاً من العلم، لا زال العالم الإسلامي يذكره بخير، ويرجو له من الله تعالى أن تناله رحماته ورضوانه.

رحم الله الإمام النووي رحمة واسعة، وحشره مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وجمعنا به تحت لواء سيدنا محمد ﷺ [1].

* * *

(١) المصدر: مقدمة كتاب الأذكار، السيوطي، المنهاج السوي في ترجمة محيي الدين النووي طبعة دار التراث الأولى ١٤٠٩ هـ تحقيق: د. محمد العيد الخطراوي.

سعيد بن جبير

من مشاهير أعلام المسلمين

سعيد بن جبير

ابن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام.

روى عن ابن عباس فأكثر وجود، وعن عبد الله بن مغفل، وعائشة، وعدي بن حاتم، وأبي موسى الأشعري في سنن النسائي، وأبي هريرة، وأبي مسعود البدري - وهو مرسل - وعن ابن عمر، وابن الزبير، والضحاك بن قيس، وأنس، وأبي سعيد الخدري.

وروى عن التابعين، مثل أبي عبد الرحمن السلمي. وكان من كبار العلماء.

قرأ القرآن على ابن عباس. قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وطائفة.

وحدث عنه أبو صالح السمان، وآدم بن سليمان والد يحيى، وأشعث بن أبي الشعثاء، وأيوب السختياني وبكير بن شهاب، وثابت ابن عجلان، وأبو المقدام ثابت بن هرمز، وجعفر بن أبي المغيرة، وأبو بشر جعفر بن أبي وحشية، وحبيب بن أبي ثابت، وحبيب بن أبي عمرة، وحسان بن أبي الأشرس، وحصين، والحكم، وحماد، وخصيف الجزري، وزر الهمداني، وزيد العمي، وسالم الأفطس، وسلمة بن كهيل، وسليمان بن أبي المغيرة، وسليمان الأحول، وسليمان الأعمش، وسماك بن حرب، وأبو سنان ضرار بن مرة، وطارق بن عبد الرحمن، وطلحة بن مصرف، وأبو سنان طلحة بن نافع، وأبو حريز عبد الله بن حسين، وابنه عبد الله بن سعيد، وعبد

الله بن عثمان بن خثيم، وعبد الله بن عيسى بن أبي ليلى، وعبد الأعلى بن عامر الثعلبي، وعبد الكريم الجزري، وعبد الكريم أبو أمية البصري، وابنه عبد الملك بن سعيد، وعبد الملك بن أبي سليمان، وعبد الملك بن ميسرة، وعثمان بن حكيم، وعثمان بن أبي سليمان، وعثمان بن قيس، وعدي بن ثابت، وعزرة بن عبد الرحمن، وعطاء بن السائب، وعكرمة بن خالد، وعلي بن بذيمة، وعمار الدهني، وعمرو ابن دينار، وعمرو بن سعيد البصري، وعمرو بن عمرو المدني، وعمرو بن مرة، وعمرو بن هرم، وفرقد السبخي، وفضيل بن عمرو الفقيمي، والقاسم بن أبي أيوب، والقاسم بن أبي بزة، وكثير بن كثير ابن المطلب، وكلثوم بن جبر، ومالك بن دينار، ومجاهد رفيقه، ومحمد ابن سوقة، ومحمد بن أبي محمد، والزهري، ومحمد بن واسع، ومسعود بن مالك، ومسلم البطين، والمغيرة بن النعمان، ومنصور بن حيان، ومنصور بن المعتمر، والمنهال بن عمرو، وموسى بن أبي عائشة، وأبو شهاب الحناط الأكبر موسى بن نافع، وميمون بن مهران، وهشام بن حسان، وهلال بن خباب، ووبرة بن عبد الرحمن، ووهب بن مأنوس، وأبو هبيرة يحيى بن عباد، ويحيى بن ميمون أبو المعلى العطار، ويعلى بن حكيم، ويعلى بن مسلم، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو حصين الأسدي، وأبو الزبير المكي، وأبو الصهباء الكوفي، وأبو عون الثقفي، وأبو هاشم الرماني، وخلق كثير.

روى ضمرة بن ربيعة، عن أصبغ بن زيد، قال: كان لسعيد بن جبير ديك، كان يقوم من الليل بصياحه، فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح، فلم يصل سعيد تلك الليلة، فشق عليه، فقال: ما له قطع الله صوته؟ فما سمع له صوت بعد. فقالت له أمه: يا بني، لا تدع على شيء بعدها.

قال أبو الشيخ: قدم سعيد أصبهان زمن الحجاج، وأخذوا عنه.

وعن عمر بن حبيب قال: كان سعيد بن جبير بأصبهان لا يحدث، ثم رجع إلى الكوفة فجعل يحدث، فقلنا له في ذلك فقال: انشر بزك حيث تعرف.

قال عطاء بن السائب: كان سعيد بن جبير بفارس، وكان يتحزن، يقول: ليس أحد يسألني عن شيء. وكان يبكينا، ثم عسى ألاَّ يقوم حتى نضحك.

شعبة، عن القاسم بن أبي أيوب: كان سعيد بن جبير بأصبهان، وكان غلام مجوسي يخدمه، وكان يأتيه بالمصحف في غلافه.

قال القاسم بن أبي أيوب: سمعت سعيدا يردد هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله.

أنبأنا أحمد بن أبي الخير، عن اللبان، أنبأنا الحداد، أنبأنا أبو نعيم، حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا سعيد بن أبي الربيع السمان، حدثنا أبو عوانة، عن إسحاق مولى عبد الله بن عمر، عن هلال بن يساف، قال: دخل سعيد بن جبير الكعبة فقرأ القرآن في ركعة.

الحسن بن صالح، عن وقاء بن إياس، قال: كان سعيد بن جبير يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء في شهر رمضان، وكانوا يؤخرون العشاء.

قلت: هذا خلاف السنة، وقد صح النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث.

يزيد: أنبأنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير، أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين.

يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة: كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني سعيد بن جبير.

قال ابن مهدي، عن سفيان، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

وقال ضرار بن مرة: عن سعيد بن جبير، قال: التوكل على الله جماع الإيمان.

وكان يدعو: اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك.

أبو عوانة، عن هلال بن خباب، قال: خرجت مع سعيد بن جبير في رجب، فأحرم من الكوفة بعمرة، ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة، وكان يحرم في كل سنة مرتين، مرة للحج، ومرة للعمرة.

ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: إن الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية، والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن.

وروي عن حبيب بن أبي ثابت: قال لي سعيد بن جبير: لأن أنشر علمي أحب إلى من أن أذهب به إلى قبري.

قال هلال بن خباب: قلت لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم.

وقال عمر بن ذر: كتب سعيد بن جبير إلى أبي كتابا أوصاه بتقوى الله وقال: إن بقاء المسلم كل يوم غنيمة، فذكر الفرائض والصلوات وما يرزقه الله من ذكره.

أحمد حدثنا معتمر، عن الفضيل بن ميسرة، عن أبي حريز، أن سعيد بن جبير قال: لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر. تعجبه العبادة ويقول: أيقظوا خدمكم يتسحرون لصوم يوم عرفة.

عباد بن العوام: أنبأنا هلال بن خباب: خرجنا مع سعيد بن جبير في جنازة، فكان يحدثنا في الطريق ويذكرنا، حتى بلغ، فلما جلس، لم يزل يحدثنا حتى قمنا، فرجعنا، وكان كثير الذكر لله.

وعن سعيد، قال: وددت الناس أخذوا ما عندي ؛ فإنه مما يهمني.

أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، قال: أتيت سعيد بن جبير بمكة، فقلت: إن هذا الرجل قادم - يعني خالد بن عبد الله - ولا آمنه عليك، فأطعني واخرج. فقال: والله لقد فررت حتى استحييت من الله. قلت: إني لأراك كما سمتك أمك سعيدا. فقدم خالد مكة، فأرسل إليه فأخذه.

أحمد: حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا أمية بن شبل، عن عثمان بن برذويه قال: كنت مع وهب وسعيد بن جبير يوم عرفة بنخيل ابن عامر، فقال له وهب: يا أبا عبد الله، كم لك منذ خفت من الحجاج؟ قال: خرجت عن امرأتي وهي حامل، فجاءني الذي في بطنها وقد خرج وجهه. فقال وهب: إن من قبلكم كان إذا أصاب أحدهم بلاء عده رخاء، وإذا أصابه رخاء عده بلاء.

قال سالم بن أبي حفصة لما أتي الحجاج بسعيد بن جبير قال: أنا سعيد بن جبير، قال: أنت شقي بن كسير، لأقتلنك. قال: فإذا أنا كما سمتني أمي، ثم قال: دعوني أصل ركعتين. قال: وجهوه إلى قبلة النصارى. قال: فأينما تولوا فثم وجه الله وقال: إني أستعيذ منك بما عاذت به مريم. قال: وما عاذت به؟ قال: قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا.

رواها ابن عيينة، عن سالم. ثم قال ابن عيينة: لم يقتل بعد سعيد إلا رجلاً واحدًا.

وعن عتبة مولى الحجاج، قال: حضرت سعيدا حين أتي به الحجاج بواسط، فجعل الحجاج يقول: ألم أفعل بك؟! ألم أفعل بك؟! فيقول: بلى. قال: فما حملك على ما صنعت من خروجك علينا؟ قال:

بيعة كانت على - يعني لابن الأشعث - فغضب الحجاج وصفق بيديه، وقال: فبيعة أمير المؤمنين كانت أسبق وأولى. وأمر به، فضربت عنقه.

وقيل: لو لم يواجهه سعيد بن جبير بهذا، لاستحياه كما عفا عن الشعبي لما لاطفه في الاعتذار.

حامد بن يحيى البلخي: حدثنا حفص أبو مقاتل السمرقندي، حدثنا عون بن أبي شداد: بلغني أن الحجاج لما ذكر له سعيد بن جبير أرسل إليه قائدا يسمى المتلمس بن أحوص في عشرين من أهل الشام. فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعته، فسألوه عنه فقال: صفوه لي، فوصفوه فدلهم عليه، فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجي بأعلى صوته، فدنوا وسلموا، فرفع رأسه، فأتم بقية صلاته، ثم رد السلام، فقالوا: إنا رسل الحجاج إليك، فأجبه، قال: ولا بد من الإجابة؟ قالوا: لا بد. فحمد الله وأثنى عليه وقام معهم حتى انتهى إلى دير الراهب، فقال الراهب: يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم؟ قالوا: نعم. فقال: اصعدوا، فإن اللبؤة والأسد يأويان حول الدير. ففعلوا وأبى سعيد أن يدخل. فقالوا: ما نراك إلا وأنت تريد الهرب منا، قال: لا، ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدا، قالوا: فإنا لا ندعك، فإن السباع تقتلك، قال: لا ضير، إن معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرسا تحرسني، قالوا: فأنت من الأنبياء؟ قال: ما أنا من الأنبياء، ولكن عبد من عبيد الله مذنب. قال الراهب: فليعطني ما أثق به على طمأنينة. فعرضوا على سعيد أن يعطي الراهب ما يريد، قال: إني أعطي العظيم الذي لا شريك له، لا أبرح مكاني حتى أصبح إن شاء الله. فرضي الراهب بذلك، فقال لهم: اصعدوا وأوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح ؛ فإنه كره الدخول في الصومعة لمكانكم. فلما صعدوا وأوتروا القسي، إذا هم بلبؤة قد أقبلت، فلما دنت من سعيد، تحككت به وتمسحت به، ثم ربضت قريبا منه. وأقبل

الأسد يصنع كذلك. فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا، نزل إليه، فسأله عن شرائع دينه، وسنن رسوله، ففسر له سعيد ذلك كله، فأسلم. وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه، ويأخذون التراب الذي وطئه فيقولون: يا سعيد، حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق، إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك إليه، فمرنا بما شئت، قال: امضوا لأمركم، فإني لائذ بخالقي ولا راد لقضائه، فساروا حتى بلغوا واسطا فقال سعيد: قد تحرمت بكم وصحبتكم، ولست أشك أن أجلي قد حضر فدعوني الليلة آخذ أهبة الموت، وأستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب القبر، فإذا أصبحتم فالميعاد بيننا المكان الذي تريدون. فقال بعضهم: لا تريدون أثرا بعد عين، وقال بعضهم: قد بلغتم أمنكم واستوجبتم جوائز الأمير، فلا تعجزوا عنه. وقال بعضهم: يعطيكم ما أعطى الراهب، ويلكم أما لكم عبرة بالأسد؟! ونظروا إلى سعيد قد دمعت عيناه، وشعث رأسه، واغبر لونه، ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ يوم لقوه وصحبوه، فقالوا: يا خير أهل الأرض، ليتنا لم نعرفك، ولم نسرح إليك، الويل لنا ويلا طويلا، كيف ابتلينا بك! اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر، فإنه القاضي الأكبر، والعدل الذي لا يجور. قال: ما أعذرني لكم وأرضاني لما سبق من علم الله في. فلما فرغوا من البكاء والمجاوبة، قال كفيله: أسألك بالله لما زودتنا من دعائك وكلامك، فإنا لن نلقى مثلك أبدا. ففعل ذلك، فخلوا سبيله، فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وهم محتفون الليل كله، ينادون بالويل واللهف. فلما انشق عمود الصبح، جاءهم سعيد فقرع الباب، فنزلوا وبكوا معه، وذهبوا به إلى الحجاج، وآخر معه، فدخلا، فقال الحجاج: أتيتموني بسعيد بن جبير؟ قالوا نعم، وعاينا منه العجب. فصرف بوجهه عنهم. فقال: أدخلوه على. فخرج المتلمس فقال لسعيد أستودعك الله، وأقرأ عليك السلام. فأدخل عليه. فقال: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، قال: أنت شقي بن كسير. قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك. قال: شقيت أنت

وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك. قال: لأبدلنك بالدنيا نارًا تلظى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها. قال: فما قولك في محمد ﷺ؟ قال: نبي الرحمة، إمام الهدى. قال: فما قولك في على، في الجنة هو أم في النار؟ قال: لو دخلتها، فرأيت أهلها عرفت. قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي. قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عنده. قال: أبيت أن تصدقني. قال: إني لم أحب أن أكذبك. قال: فما بالك لم تضحك؟ قال: لم تستو القلوب.

قال: ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فجمعه بين يدي سعيد، فقال: إن كنت جمعته لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جمع للدنيا، إلا ما طاب وزكا. ثم دعا الحجاج بالعود والناي، فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى، فقال الحجاج: ما يبكيك؟ هو اللهو. قال: بل هو الحزن، أما النفخ، فذكرني يوم نفخ الصور، وأما العود، فشجرة قطعت من غير حق، وأما الأوتار فأمعاء شاة يبعث بها معك يوم القيامة.

فقال الحجاج: ويلك يا سعيد. قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار. قال: اختر أي قتلة تريد أن أقتلك، قال: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلتك قتلة في الآخرة. قال: فتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو، فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر. قال: اذهبوا به فاقتلوه. فلما خرج من الباب، ضحك، فأخبر الحجاج بذلك، فأمر برده، فقال: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك على الله وحلمه عنك! فأمر بالنطع فبسط، فقال: اقتلوه. فقال: إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض قال: شدوا به لغير القبلة. قال: فأينما تولوا فثم وجه الله قال: كبوه لوجهه. قال: منها خلقناكم وفيها نعيدكم قال: اذبحوه قال: إني أشهد وأحاج أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة. ثم دعا سعيد الله وقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي. فذبح على النطع.

وبلغنا أن الحجاج عاش بعده خمس عشرة ليلة، وقعت في بطنه الأكلة فدعا بالطبيب لينظر إليه، فنظر إليه، ثم دعا بلحم منتن، فعلقه في خيط ثم أرسله في حلقه، فتركه ساعة ثم استخرجه وقد لزق به من الدم، فعلم أنه ليس بناج.

هذه حكاية منكرة، غير صحيحة. رواها أبو نعيم في " الحلية "، فقال: حدثنا أبي، حدثنا خالي أحمد بن محمد بن يوسف، أخبرني أبو أمية محمد بن إبراهيم كتابة، حدثنا حامد بن يحيى.

هارون الحمال حدثنا محمد بن مسلمة المخزومي، حدثنا مالك، عن يحيى بن سعيد، عن كاتب الحجاج قال مالك - هو أخ لأبي سلمة الذي كان على بيت المال - قال: كنت أكتب للحجاج وأنا يومئذ غلام يستخفني ويستحسن كتابتي، وأدخل عليه بغير إذن، فدخلت عليه يوما بعدما قتل سعيد بن جبير وهو في قبة له، لها أربعة أبواب، فدخلت عليه مما يلي ظهره، فسمعته يقول: ما لي ولسعيد بن جبير، فخرجت رويدا وعلمت أنه إن علم بي قتلني، فلم ينشب إلا قليلا حتى مات.

أبو حذيفة النهدي: حدثنا سفيان، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، قال: دعا سعيد بن جبير حين دعي للقتل فجعل ابنه يبكي، فقال: ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة؟

ابن حميد: حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد، قال: قحط الناس في زمان ملك من ملوك بني إسرائيل ثلاث سنين، فقال الملك: ليرسلن علينا السماء أو لنؤذينه، قالوا: كيف تقدر على أن تؤذيه، وهو في السماء وأنت في الأرض؟ قال: أقتل أولياءه من أهل الأرض فيكون ذلك أذى له. قال: فأرسل الله عليهم السماء.

وروى أصبغ بن زيد، عن القاسم الأعرج، قال: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش.

وروي عن ابن شهاب، قال: كان سعيد بن جبير يؤمنا، يرجع صوته بالقرآن.

وروى الثوري، عن حماد، قال: قال سعيد: قرأت القرآن في ركعتين في الكعبة.

جرير الضبي، عن أشعث بن إسحاق، قال: كان يقال: سعيد بن جبير جهبذ العلماء.

ابن عيينة، عن أبي سنان، عن سعيد بن جبير، قال: لدغتني عقرب، فأقسمت على أمي أن أسترقي، فأعطيت الراقي يدي التي لم تلدغ، وكرهت أن أحنثها.

جرير بن حازم، عن يعلى بن حكيم، قال: قال سعيد بن جبير: ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت، ولا أحرص عليه، من أهل البصرة، لقد رأيت جارية ذات ليلة تعلقت بأستار الكعبة تدعو وتضرع وتبكي حتى ماتت [1].

* * *

(١) المصدر: مجلة البحوث الإسلامية، ٨٠ / ١٧٧١ - ١٧٧٧.

ابــن الأثيـر

من مشاهير أعلام المسلمين

المؤرخ الكبير ابن الأثير[1]

يحتل المؤرخ العربي الإسلامي عز الدين أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الأثير مكانة متميزة بين المؤرخين في تراثنا العربي الإسلامي مثلما يحظى كتابه: " الكامل في التاريخ " و" أسد الغابة في معرفة الصحابة " بثقة مطلقة إذ يعدّه عمدة المؤرخين القدامى والمحدثين مرجعاً هامًّا لا يستغنى عنه، قال فيه السخاوي في

(١) مصادر الترجمة:.
- عبد القادر أحمد طليمات:.
١ - ابن الأثير الجزري المؤرخ - دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٦٩.
٢ - مقدمة كتاب التاريخ الباهر للدولة الأتابكية، ط دار الكتب الحديثة، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، ١٩٦٣ م.
- محمد عبد الله الحمدان، بنو الأثير، الفرسان الثلاثة.
- نهلة أنيس محمد مصطفي، الأيوبيون في كتابات كل من ابن الأثير وأبي شامة.
- شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون - دار العلم للملايين - القاهرة - ١٩٨٧.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان - تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بدون تاريخ.
- السيد الباز العريني: مؤرخو الحروب الصليبية - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٦٢م.
- نظير حسان سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي.
مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٦٢م.
- د. سليمان الدخيل، نظرة في كتاب (الكامل) لابن الأثير، (مجلة البيان، العدد ١٢).
- محمد العبدة، ابن الأثير وموقفه من الدولة العبيدية وبعض الدول المعاصرة لها، (مجلة البيان، العدد ٩).
- دائرة المعارف الإسلامية.
- الذهبي، سير أعلام النبلاء وتذكرة الحفاظ.
- ابن كثير، البداية والنهاية.

كتابه " الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ". " قال شيخنا: إنه أحسن التواريخ بالنسبة إلى إيراد الوقائع موضحة بينة حتى كأنَّ السامع في الغالب حاضرها من حسن التصرف وجودة الإيراد ".

ونوه مترجم حياة ابن الأثير في دائرة المعارف الإسلامية بكتاب الكامل فقال: " وهو - أي ابن الأثير - صاحب ا لكتاب المشهور: " الكامل في التاريخ " الذي يستشهد به كثيراً في هذه الدائرة ".

وابن الأثير مؤلف " الكامل " و" وأسد الغابة في معرفة الصحابة " هو الابن الأوسط لأثير الدين الجزري وأحد ثلاثة أخوة نسبوا إلى والدهم " أثير الدين " المتحدر من أسرة عربية الأصل تنتمي إلى بني شيبان أحد بطون بكر بن وائل العربية، وهي أسرة غنية كانت تمتلك عقارات وإقطاعات، وشغل أفرادها مناصب حكومية عالية، وقد شغل والد ابن الأثير منصب رئيس ديوان " جزيرة ابن عمر " التابعة للموصل ونائب وزير الموصل فيها، وجاراه في الالتحاق بالوظائف الحكومية ولداه: مجد الدين: وهو الأكبر، وضياء الدين: وهو الأصغر أما مؤلف الكامل الولد الأوسط عز الدين فقد شغله عن الوظيفة انصرافه إلى العلم تدريساً وتأليفاً.

وقد نبغ الأخوة الثلاثة في مجال العلم وكانت لهم مصنفات في مختلف أبوابه، حظي بعضها بالشهرة إلى يومنا هذا، أما مجد الدين [1] وهو الأكبر فلم تصرفه خدمته للأيوبيين عن التصنيف في

(١) قال الذهبي: " القاضي، الرئيس، العلامة، البارع، الأوحد، البليغ، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الجزري، ثم الموصلي، الكاتب، ابن الأثير، صاحب (جامع الأصول)، و(غريب الحديث)، وغير ذلك. مولده: بجزيرة ابن عمر، في أحد الربيعين، سنة أربعٍ وأربعين وخمس مائةٍ، ونشأ بها، ثم تحول إلى الموصل، وسمع من: يحيى بن سعدون القرطبي، وخطيب الموصل، وطائفةٍ. وروى: الكتب نازلاً، فأسند (صحيح البخاري)، عن ابن سرايا، عن أبي الوقت، و(صحيح مسلم)، عن أبي ياسرٍ بن أبي حبة، عن إسماعيل ابن السمرقندي، عن التكتي، عن أبي الحسين عبد الغافر، ثم عن ابن سكينة إجازةً، عن

الحديث والتفسير واللغة، درس النحو على ابن الدهان في الموصل

الفراوي، و(الموطأ)، عن ابن سعدون، حدثنا ابن عتابٍ، عن ابن مغيثٍ، فوهم، و(سنن أبي داود والترمذي) بسماعه من ابن سكينة، و(سنن النسائي)، أخبرنا يعيش بن صدقة، عن ابن محمويه. ثم اتصل بالأمير مجاهد الدين قيماز الخادم، إلى أن توفي مخدومه، فكتب الإنشاء لصاحب الموصل عز الدين مسعودٍ الأتابكي، وولي ديوان الإنشاء، وعظم قدره، وله اليد البيضاء في الترسل، وصنف فيه، ثم عرض له فالجٌ في أطرافه، وعجز عن الكتابة، ولزم داره، وأنشأ رباطاً في قرية وقف عليه أملاكه، وله نظمٌ يسيرٌ. قال الإمام أبو شامة: قرأ الحديث والعلم والأدب، وكان رئيساً مشاوراً، صنف (جامع الأصول)، و(النهاية)، و(شرحاً لمسند الشافعي)، وكان به نقرسٌ، فكان يحمل في محفةٍ، قرأ النحو على أبي محمدٍ سعيد بن الدهان، وأبي الحرم مكي الضرير..

ولما حج سمع ببغداد من ابن كليبٍ، وحدث وانتفع به الناس، وكان ورعاً، عاقلاً، بهياً، ذا بر وإحسانٍ، وأخوه عز الدين على، صاحب (التاريخ)، وأخوهما الصاحب ضياء الدين، مصنف كتاب (المثل السائر).

وقال ابن خلكان: لمجد الدين كتاب (الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف) تفسيري الثعلبي والزمخشري، وله كتاب (المصطفى المختار في الأدعية والأذكار)، وكتابٌ لطيفٌ في صناعة الكتابة، وكتاب (البديع في شرح مقدمة ابن الدهان)، وله (ديوان رسائل).

قلت: روى عنه: ولده؛ والشهاب القوصي، والإمام تاج الدين عبد المحسن بن محمد بن الحامض شيخ الباجربقي، وطائفةٌ. وآخر من روى عنه بالإجازة: الشيخ فخر الدين ابن البخاري.

قال ابن الشعار: كان كاتب الإنشاء لدولة صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودودٍ، وكان حاسباً، كاتباً، ذكيًّا..، إلى أن قال:ومن تصانيفه كتاب (الفروق في الأبنية)، وكتاب (الأدواء والذوات)، وكتاب (المختار في مناقب الأخيار)، و(شرح غريب الطوال) قال: وكان من أشد الناس بخلاً.

قلت: من وقف عقاره لله فليس ببخيلٍ، فما هو ببخيلٍ، ولا بجوادٍ، بل صاحب حزمٍ واقتصادٍ - رحمه الله.

عاش ثلاثاً وستين سنةً. توفي: في سنة ست وست مائةٍ بالموصل.

حكى أخوه العز، قال: جاء مغربي عالج أخي بدهنٍ صنعه، فبانت ثمرته، وتمكن من مد رجليه، فقال لي: أعطه ما يرضيه واصرفه. قلت: لماذا، وقد ظهر النجح؟.

قال: هو كما تقول، ولكني في راحةٍ من ترك هؤلاء الدولة، وقد سكنت نفسي إلى الانقطاع والدعة، وبالأمس كنت أذل بالسعي إليهم، وهنا فما يجيئوني، إلا في مشورةٍ مهمةٍ، ولم يبق من العمر إلا القليل. " سير أعلام النبلاء، (٢١/٤٩٢).

والحديث في بغداد، وتولى خدمة الأمير " قيماز " الذي حكم البلاد قبل سيف الدين غازي، ثم تولى ديوان الرسائل لمسعود بن مودود ونور الدين أرسلان شاه، ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه، ويقول ابن خلكان: " إنه صنف معظم كتبه إن لم يكن كلها وهو على هذه الحال "، وله مصنفات منها: " كتاب الإنصاف في تفسير القرآن "، و" كتاب غريب الحديث "، و" كتاب جامع الأصول في حديث الرسول "، وغيرها...

وأما الأخ الأصغر ضياء الدين أبو الفتح نصر الله (٥٥٨ - ٦٣٧هـ)، [١] فقد ولد في جزيرة ابن عمر وتوفي ببغداد، وترجع شهرته إلى أنه كان من أصحاب الأساليب، ويعد كتابه المشهور في البلاغة: " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر "، الذي طبع

(١) قال الذهبي: " الصاحب، العلامة، الوزير، ضياء الدين، أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الجزري، المنشئ، صاحب كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر).

مولده: بجزيرة ابن عمر، في سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائةٍ، وتحول منها مع أبيه وإخوته، فنشأ بالموصل، وحفظ القرآن، وأقبل على النحو واللغة والشعر والأخبار.

وقال في أول كتاب (الوشي) له: حفظت من الأشعار ما لا أحصيه، ثم اقتصرت على الدواوين لأبي تمامٍ والبحتري والمتنبي فحفظتها.

قال ابن خلكان: قصد السلطان صلاح الدين فقدمه، ووصله القاضي الفاضل، فأقام عنده أشهراً، ثم بعث به إلى ولده الملك الأفضل فاستوزره، فلما توفي صلاح الدين، تملك الأفضل دمشق، وفوض الأمور إلى الضياء، فأساء العشرة، وهموا بقتله، فأخرج في صندوقٍ، وسار مع الأفضل إلى مصر، فزاح الملك من الأفضل، واختفى الضياء، ولما استقر الأفضل بسميساط، ذهب إليه الضياء، ثم فارقه في سنة سبعٍ وست مائةٍ، فاتصل بصاحب حلب، فلم ينفق، فتألم، وذهب إلى الموصل، فكتب لصاحبها.

وله يدٌ طولى في الترسل، كان يجاري القاضي الفاضل، ويعارضه، وبينهما مكاتباتٌ ومحارباتٌ.

وقال ابن النجار: قدم بغداد رسولاً غير مرةٍ، وحدث بها بكتابه، ومرض، فتوفي في ربيعٍ الآخر، سنة سبعٍ وثلاثين وست مائةٍ، وقيل: كان بينه وبين أخيه عز الدين مقاطعةٌ ومجانبةٌ شدي.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٧٤/٢٣).

ببولاق ١٢٨٢هـ، من أهم المراجع في بابه، ومن مصنفاته أيضاً: " الوشي المرقوم في حلّ المظلوم "، و" المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء ".

ويعد الأخ الأوسط أكثرهم شهرة، ولد في الرابع من جمادى سنة ٥٥٥ هـ في جزيرة ابن عمر التابعة للموصل، وانتقل إلى الموصل مع أسرته حيث عمل فيها والده، وهيأ له أبوه ولأخويه سبل التعليم، فألحقه في طفولته بأحد الكتاتيب في جزيرة ابن عمر فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وفي الموصل اتصل بأسرها العلمية وتردد على مجالس العلم فيها فسمع من خطيبها أبي الفضل عبد الله بن أحمد الطورسي، وأبي الفرج يحيى الثقفي، ومسلم بن على السيّجي، وتردد على الشام أكثر من مرة زمن الأيوبيين فعقد صداقات مع علماء الشام ونال شهرة في الوسط العلمي فيها محدثاً ومؤرخاً، تتلمذ على عدة أشياخ فسمع الحديث من أ بي القاسم بن حصري، وزين الأمناء، وابن سويدة التكريتي، وابن رواحة وابن كليب الحراني، وكان يتردد على بغداد منتهزاً فرصة الحج، فسمع فيها من عبد المؤمن بن كليب ويعيش بن صدقة، وعبد الوهاب بن سكينة، وأبي أحمد عبد الوهاب ابن على الصوفي، ودرس على أشياخه الحساب واللغة والفقه وغيرها من العلوم.

برز ابن الأثير بنوعين من العلوم هما الحديث والتاريخ وتخصص فيهما، لكنه اشتهر مؤرخاً أكثر من شهرته محدثاً، يقول ابن خلكان عنه: كان حافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم وأخبارهم، عارفاً بالرجال وأنسابهم ولاسيما الصحابة ".

ولا تمدنا المصادر بالكثير عن حياته الخاصة، وكل ما يعرف عنه أنه عاش منقطعاً إلى العلم تحصيلاً وتدريساً وتصنيفاً وربما اعتمد عليه صاحب الموصل في بعض الشؤون السياسية لدى أولي

الأمر ببغداد، وقد حج أكثر من مرة، وسمح له غناه أن يعيش حياة ارستقراطية مما ساعده على التفرغ الكامل للعلم، فهو يذكر أن والده كان يملك عدة بساتين بقرية العقيمة إحدى قرى جزيرة ابن عمر، وقرية أخرى جنوب الموصل يقال: لها " قصر حرب "، وأنه جمع أكثر مادة كتابه " الكامل في التاريخ "، في دار لهم بهذه القرية.

ويجمع من ترجم لابن الأثير على تحليه بالأخلاق الفاضلة، اجتمع به ابن خلكان في حلب فوجده على حد تعبيره: " رجلاً مكملاً في الفضائل وكرم الأخلاق وكثرة التواضع. ". وكان بيته مأوى لطلاب العلم لا يتوانى عن مساعدتهم والعطف عليهم. وتذكر المصادر أسماء بعض طلابه ومنهم ابن عساكر والزينبي والمجد بن أبي جرادة. وقد أهّله علمه وأخلاقه الرفيعة إلى عقد صلات مع مشاهير عصره ومنهم طفرين مدبر أمور حلب، وصلاح الدين الأيوبي وقد صحبه في معسكره في بعض غزواته.

توفي ابن الأثير في شهر شعبان أو رمضان سنة ٦٣٠هـ عن عمر يناهز الثالثة والسبعين.

ولابن الأثير عز الدين مؤلفات أخرى لا يتسع المقال لاستيفاء موضوعها وأسلوبها بالتفصيل وهي تدخل في باب الحديث أو التاريخ أو كلاهما معاً منها:

١ - الكامل في التاريخ:

وهو تاريخ عام في ١٢ مجلدًا، منذ بدء الخليقة وابتداء أول الزمان حتى عصره، حيث انتهى عند آخر سنة (٦٢٨هـ) أي إنه يعالج تاريخ العالم القديم حتى ظهور الإسلام، وتاريخ العالم الإسلامي منذ ظهور الإسلام حتى عصره، والتزم في كتابه بالمنهج الحولي في تسجيل الأحداث، فهو يسجل أحداث كل سنة على حدة، وأقام توازنًا بين أخبار المشرق والمغرب وما بينهما على مدى سبعة قرون وربع قرن، وهو ما أعطى كتابه طابع التاريخ العام أكثر أي

تاريخ عام لغيره، وفي الوقت نفسه لم يهمل الحوادث المحلية في كل إقليم، وأخبار الظواهر الجوية والأرضية من غلاء ورخص، وقحط وأوبئة وزلازل.

وفي الحقيقة أن ابن الأثير اشتهر كمؤرخاً، ويرجع ميله للتاريخ إلى تحصيله الواسع في علم الحديث، وقد دفعه الاهتمام بالحديث إلى تتبع سيرة النبي وأخبار الصحابة وجره ذلك إلى قراءة كتب التاريخ حتى ألمَّ بتاريخ المشرق الإسلامي وتاريخ المغرب الإسلامي، يدفعه إلى ذلك ميل قوي إلى مطالعة الكتب التاريخية، يقول في مقدمة كتابه الكامل في التاريخ:

" أما بعد فإني لم أزل محبًّا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها مؤثراً الاطلاع على الجليّ من حوادثها وخافيها، مائلاً إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها... ". ويتضح من أسلوبه في الكتابة كثرة مطالعاته الأدبية التي طبعت بعض كتاباته بطابع أدبي أما كتاباته التاريخية ومصنفاته في الحديث فلا تتجلى فيها نزعته إلى استخدام السجع والبيان إلا في مقدمتها، فهو يؤثر الأسلوب المرسل الواضح.

ينظر ابن الأثير إلى علم التاريخ من زاوية فوائده الجليلة التي يشير إليها في مقدمة الكامل فيرى أن التاريخ باب من أبواب الثقافة يتيح للإنسان أن يعيش مع الماضي فمن يقرأ عن الماضي فكأنه عاش فيه، وهو عظة للناس والحكام، وسبيل إلى الترويح عن النفس، وقراءة التاريخ فوق هذا تزهد الإنسان بالدنيا وترغبه بالآخرة والعبادة وتمثل عظمة الخالق، وفيه أيضاً من التأسي ما يهون به كل مصاب وتزول أمام ما يعرض من محن كل كربة.

وقد اعتمد في كتابه الكامل أكثر ما اعتمد في أجزائه السبعة الأولى منه على الطبري، فاختصر تاريخه حاذفاً الأسانيد متجاوزاً الإسهاب، مكتفياً بالرواية الواحدة، على أن ذلك لم يمنعه أن يستمدّ

من مصادر أخرى كابن الكلبي والمبرد والبلاذري والمسعودي مكملاً ما ترك الطبري عن قصد أو عن غير قصد كأيام العرب قبل الإسلام والوقائع بين قيس وتغلب في القرن الأول الهجري وغزو العرب السند.

أما بقية أجزاء الكتاب فقد انتفع في تأليفها بكل المصادر العربية التي وصلت إلى يده ولذلك عدَّ كتابه بحق خلاصة وافية لما كتب المسلمون في تاريخهم السياسي حتى سنة ٦٢٨هـ أي قبيل وفاة المؤرخ بسنتين.

وقد امتاز ابن الأثير بانفراده من بين معاصريه في تأريخ الحروب الصليبية وغزو التتر، وقد استعان في تدوين الفترة التي لم يعاصر منها الحروب الصليبية بالعماد الأصفهاني والمؤرخين الذين عاصروها ممن سبقوه كابن القلانسي والأتاري وابن أبي جرادة وابن شداد، وقد تضمن تاريخه تقسيماً للحملات الصليبية الخمس على الشرق العربي الإسلامي والحملة الرابعة التي استهدفت في الأساس الشرق العربي الإسلامي لكنها تحولت إلى القسطنطينية.

أما الغزو التتري فقد عاصره ابن الأثير منذ بدايته سنة ٦١٦هـ حتى وفاته قبل سقوط بغداد. وأظهر أساه لما شهد وسمع من فتك المغول وقسوتهم يقول في ذلك: " وقد جرى لهؤلاء التتار مالم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه... يسرّ الله للمسلمين والإسلام من يحفظهم ويحوطهم، فلقد دُفعوا من العدو إلى عظيم ". واقتصر في تدوين أخبار هذا الغزو على المعاصرين من شهود العيان أو الرسائل التي تصل إلى الموصل من البلاد المهاجمة وبعض التجار. وأما منهجه في تأليف الكتاب فقد رتب ابن الأثير أخبار العالم الإسلامي على السنين فهو يجمع الحادثة التي تقطعت على أكثر من سنة ويذكرها في موضع واحد، ويذكر من ملك أو تبع في قطر من البلاد ولم يطل حكمه في السنة التي كان فيها أول أمره، ويضبط

بعض الأسماء المشتبهة بالخط.

وللكامل في التاريخ ميزات فيها بروز شخصية مؤلفه في الكتابة، فقد برزت انفعالاته الذاتية مع الأحداث في مواقف الرضى أو السخط من خلال تعليقاته على بعض الأخبار، من ذلك تعليقه على الصليبيين بعد عجزهم عن احتلال دمياط وانسحابهم إلى الشام بعدما استباح نور الدين بلادهم فقال: " وهذا موضع المثل خرجت النعامة تطلب قرنين فرجعت بلا أذنين! ". وتعليقه على استعادة المسلمين دمياط عام ٦١٨ بقوله: " فرزقهم الله إعادة دمياط، وبقيت البلاد بأيديهم على حالها، فالله المحمود المشكور على ما أنعم به على الإسلام والمسلمين من كف عادية هذا العدو، وكفاهم شر التتر ".

كان ابن الأثير يطمح أن يؤلف كتاباً كاملاً في التاريخ ينطبق مضمونه على تسميته، يتحاشى فيه عيوب كتب التاريخ التي سبقته فقد لاحظ أن منها " المطول والممل والمختصر المخل "، ومنها الحافل بالأحداث والتفصيلات الصغيرة، دون إبراز الأحداث الهامة، وأن المؤرخ الشرقي اقتصر على التأريخ للمشرق والغربي اقتصر على التأريخ للمغرب فإن تجاوزا ذلك أخلَّ كلاهما بذكر أخبار الآخر... فجاء كتابه مقتصراً على المفيد، كتبه ببصيرة نافذة وتنظيم مريح للقارئ، وإن لم يتحرر كليًّا من عيوب من سبقه من المؤرخين كاهتمامه بالسند دون مناقشة ما يروى من أساطير ولاسيما في تاريخ الفرس وبدا اهتمامه في بعض المناطق والأقاليم أكثر من المناطق أو الأقاليم الأخرى، بحسب غزارة الأخبار أو قلتها عنها، لكنه كما قال روزنتال: " بذل جهده على الأقل لمراعاة توازن معقول بين الأحداث في كافة أنحاء العالم الإسلامي رغم أن عمله هذا لم يكلل بالنجاح التام ".

وقد تحدث الدكتور عبد القادر أحمد طليمات عن ابن الأثير الجزري في كتابه: " ابن الأثير الجزري المؤرخ " فلخص أبرز

سمات عمله التاريخي ومن هذه السمات أنه نقد التاريخ نقدًا واعيًا فردّ بعض تعليلات الطبري لحرب الفجار ودافع عن الخليفة عثمان في موقفه من أبي ذر الغفاري حين نفاه إلى الربذة بقوله: " فإن للإمام أن يؤدب رعيته "، ومن سمات تاريخه ملاحظته وتعليله لبعض ظواهر تاريخية استقرأها من الأحداث كملاحظته تحول الملك من مؤسس الدولة في التاريخ الإسلامي إلى أهل بيته دون أولاده، وذكر عدة وقائع تؤيد هذه الظاهرة من التاريخ الإسلامي وعلل هذه الظاهرة: " بأن الذي يكون أول دولة يكثر ويأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلقة به فيحرمه الله أعقابه، ومن يفعل ذلك، من أجلهم عقوبة له "، ومن سمات عمله التاريخي الحياد، فقد أرخ للزنكيين والأيوبيين بحياد تام، وإن كان بعض المؤرخين قد اتهموه بالخروج عن الحياد حين حمّل صلاح الدين مسؤولية تساهله مع الفرنجة والسماح لهم في التجمع بمدينة صور فاستعصى عليه فتحها بعد ذلك، واعتبروا نقده هذا نقداً مغرضاً بهدف التجريح.

وفي الحقيقة أن ابن الأثير كان شديد التحامل على صلاح الدين في آرائه وكتاباته، وقد اتهم فيما كتبه عن صلاح الدين، فقد كان يتلمس المناسبات أحيانا لنقد صلاح الدين وتجريحه، وخاصة عند المقارنة بينه وبين نور الدين محمود، وكلها كتابات قد كتبت بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي [1].

كما أخذ عليه أنه لم يكن منصفا في نظرته إلى بعض الشخصيات المعاصرة له، فقد بالغ في تمجيد الزنكيين وأسرف في الإشادة بهم وإضفاء هالة براقة على أعمالهم وذلك اعترافًا منه بفضلهم عليه وعلي بيته وأسرته، وربما دفعه الولاء إلى التغاضي عن بعض أخطائهم وعيوبهم مكتفيا بذكر محاسنهم ومآثرهم.

ومن المآخذ التي تؤخذ على ابن الأثير تعاطفه مع الشيعة فيظهر

(١) وقد استقصينا - بفضل الله - كل هذه المواقف في كتابنا تاريخ الدولة الأيوبية، فليراجع.

للمتأمل في كتابه الكامل تعاطفه مع الشيعة، أو من لهم ميول (علوية) على الأقل، فتراه كثيراً يترجم للشيعة وخاصة (الإمامية) وربما ذكر بعض معتقداتهم الفاسدة ولا يعلق عليها، وفي أحداث الفتنة الواقعة بين الصحابة يلحظ القارئ لكتابات ابن الأثير تغليب الروايات التي تصف خصوم (علي) - رضي الله عنه - بصفات يبعد قبولها، بل يبعد أن يقول بها على نفسه،وسار على هذا المنهاج في تناوله للشيعة والعلويين على مدار كتابه الكامل، فهو يظهر لهم ميلا وتعاطفا غير مبرر.

ومن خلال قراءة أحداث القرنين الرابع والخامس في (الكامل) يتبين لنا أن ابن الأثير متعاطف مع هذه الدول الشيعية وغير السنية بشكل عام، فهو يمدح ملوكهم ويبرز محاسنهم ولا يذكر عيوبهم، ويؤكد في كل مرة يترجم لأحدهم بقوله: (الخليفة العلوي)، كأنه يريد أن يرسخ هذا في ذهن القارئ، ثم تبين لنا أنه يغرق في مدح بعض ملوك الدولة البويهية وأمراء الدولة الأسدية والحمدانية، وهذه الدول والإمارات كلها غير سنية.

وهذا ليس اتهام لابن الأثير - عليه رحمة الله - بالتشيع وحاشاه عن ذلك ونحن لا نملك عليه دليلاً، بل نجد في ترجمته ثناء العلماء والحفاظ من مشاهير أهل السنة؛ بقدر ماهي وقفة أو قراءة متفحصة نقدية في كتابه (الكامل في التاريخ) أظهرت شيئا من الميل للشيعة، وربما كان ميل ابن الأثير للشيعة وتعاطفه معهم ناتج عن الجهل بعقائد الشيعة، وربما هي لظروف العصر وملابسات البيئة التي عاش فيها ابن الأثير؟ وهي بيئة كان للشيعة فيها وجود ليس على مستوى الأفراد فحسب وإنما على مستوى الولاة والحكام. ومن أمثلة ذلك: الملك الرحيم (ت ٦٥٧) الذي ملك (الموصل) نحواً من خمسين سنة وهو الذي أزال الدولة الأتابكية (وهم أسياده قبل)،ومن الممكن أن يكون ابن الأثير قد تأثر به سياسيًّا واقتصاديًّا فمال نحو الشيعة

عن طري التأثر والإعجاب فقد كان هذا الملك يبعث في كل سنة إلى مشهد على قنديلاً ذهبياً زنته ألف دينار، وهذا - كما قال الحافظ ابن كثير - دليل على تشيعه، بل على قلة عقله [1]. وربما أن ابن الأثير قد تأثر بأراء ابن طيئ المؤرخ الشيعي الذي كثيرا ما أساء للعلاقة بين صلاح الدين الأيوبي ونور الدين محمود مصورا إياها بالوحشة والخلاف، وحاول كثيرا تلطيخ العلاقة بين كلا الرجلين السنيين بأكاذيبه الملفقة، حتى اتهمه المؤرخ أبو شامة بالدس والكذب والطعن في العلاقة بين كلا الرجلين.

وهذا لا يقلل من قدر الكتاب وقيمته بقدر ما تلفت النظر إلى ملاحظة يحسن التنبه لها.

ومن سمات عمله تخيره للمصادر الموثوقة التي استمد منها الأخبار وتصويبه بعض ما ورد فيها، وتعليقاته التي تعكس حرصه على الدقة والصحة التاريخية، غير أن ابن الأثير لم يستطع أن يتحرر من مشاعره الإنسانية في كثير من المواقف فكان يبرز فرحه لانتصارات قومه في مواجهة التتر والصليبيين ويبدي رضاه أو استنكاره في تقويم للأشخاص والأحداث بأسلوب لاذع مفصحاً عن أحاسيسه الذاتية.

٢ - اللباب في تهذيب الأنساب: وهو كتاب اعتمد في تأليفه على كتاب الأنساب للسمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي، فهذبه واختصر تراجمه المطولة وصحح معلوماته، وربط البطون بالقبائل التي ينتسب إليها أصحاب الأنساب معتمداً على مصادر أخرى منها: كتب ابن خياط والقاسم بن سلام، وابن ماكولا، والدار قطني.

٣ - أسد الغابة في معرفة أسماء الصحابة: وموضوع هذا الكتاب هو الترجمة لصحابة الرسول ﷺ الذين حملوا مشعل الدعوة، وساحوا

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١٣ /٢٠٣.

في البلاد، وفتحوا بسلوكهم الدول والممالك قبل أن يفتحوها بالطعن والضرب وقد اشتمل الكتاب على ترجمة (٧٥٥٤) صحابيا وصحابية تقريبا، يتصدره توطئه لتحديد مفهوم الصحابي؛ حتى يكون القارئ على بينه من أمره. والتزم في إيراد أصحابه الترتيب الألف بائي، ويبتدئ ترجمته للصحابي بذكر المصادر التي اعتمد عليها، ثم يشرع في ذكر اسمه ونسبه وهجرته إن كان من المهاجرين، والمشاهد التي شهدها مع الرسول ﷺ إن وجدت، ويذكر تاريخ وفاته وموضعها إن كان ذلك معلوما، وقد طبع الكتاب أكثر من مرة.

وقد عرّف ابن الأثير الصحابي بقوله: " إن الصحابي هو الذي " أقام مع رسول الله (سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين "، واعتمد فيه على المصادر التي سبقته، فصوّب بعض الأسماء والأماكن، وحذف بعض الأحاديث، وعلّق على بعضها، وأضاف معلومات لم ترد في كتب تراجم الصحابة الأساسية السابقة ككتاب: " معرفة الصحابة "، لابن مندة وكتاب معرفة الصحابة: لأبي نعيم الأصفهاني وكتاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي، وكتاب تقييد المهمل وتمييز المشكل في رجال الصحيحين لأبي على الغساني. وقد رتب التراجم فيه على حروف الهجاء وضبط الأسماء المتشابهة وشرح بعض الألفاظ الصعبة في الأحاديث.

٤ - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية: وهي الدولة التي أسسها عماد الدين زنكي في الموصل وعاش ابن الأثير وأسرته في ظلها فهو تاريخ للأسرة الزنكية والدولة التي أسستها فصل فيه أخبار هذه الدولة تفصيلاً تجاوز ما ورد عنها في كتابه الكامل، ودفعه إلى تأليفه وفاؤه للأسرة الزنكية التي برّت أسرته ولا سيما نور الدين أرسلان شاه، وقد ألف الكتاب بمناسبة وفاته لتوطيد صلته ببدر الدين لؤلؤ

الذي خلفه سنة ٦٠٧. وقد خرج في بعض حوادثه عن الحياد التاريخي فبدا ممالئاً للأسرة الزنكية متستراً على بعض عيوب أعلامها، وقد اعتمد على والده في جمع بعض أخباره.

هذه لمحة موجزة عن حياة هذا العالم الكبير الذي خدم الثقافة العربية ودفع بكتابه التاريخ العربي الإسلامي خطوة إلى الإمام.

* * *

الإمام ابن الجوزي - رحمه الله -

من مشاهير أعلام المسلمين

الإمام ابـن الجوزي ـ رحمه الله ـ

حظي " ابن الجوزي " بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون، وبلغت مؤلفاته أوج الشهرة والذيوع في عصره، وفي العصور التالية له، ونسج على منوالها العديد من المصنفين على مر العصور.

فهو: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمّد بن على ابن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمّد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمّد بن عبد الله بن القاسم ابن محمّد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه القرشي التميمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الحافظ المفسر الواعظ المؤرخ الأديب المعروف بابن الجوزي رحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته. وقد عرف بابن الجوزي لشجرة جوز كانت في داره بواسط، ولم تكن بالبلدة شجرة جوز سواها، وقيل: نسبة إلى " فرضة الجوز " وهي مرفأ نهر البصرة.

مولده:

ولد العلامة ابن الجوزي " بدرب حبيب " الواقعة في بغداد، واختلف في تأريخ ودلاته:

قيل: سنة: ٥٠٨، وقيل: سنة: ٥٠٩، وقيل: سنة: ٥١٠ هجرية. والأرجح أنه ولد بعد العشرة كما يظهر ذلك في بعض مؤلَّفاته في الوعظ، حيث يقول: إنه بدأ التصنيف سنة: ٥٢٨هـ، وله من العمر ١٧ سنة. ولما قيل عنه أيضًا في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار " أنه كان

يقول: " لا أتحقق مولدي غير أنه مات والدي في سنة: ٥١٤هـ، وقالت الوالدة كان لك من العمر ثلاث سنين ". وعلى هذا تكون ولادته سنة: ٥١١هـ، ١١١٧م. وكان أهله تجارًا في النحاس، ولهذا يوجد في بعض سماعاته القديمة: عبد الرحمن بن على الجوزي الصفار.

نشأته:

توفي والده على بن محمّد وله من العمر ثلاث سنين، ولكن ذلك لم يؤثّر في نشأته نشأة صالحة، حيث أبدله الله عمته مربية مخلصة تعطيه كلّ عطفها وعنايتها وتسهر على خدمته وتعليمه، فهي حملته إلى مسجد أبي الفضل بن ناصر، فتلقى منه الرعاية التامة والتربية الحسنة حتى أسمعه الحديث.

وعلى الرغم من فراق والده في طفولته فقد ساعده في توجهه إلى طلب العلم وتفرغه لذلك ثروة أبيه الموسر، فقد ترك من الأموال الشيء الكثير، ولهذا نراه - رحمه الله - يكثر الكلام عن نفسه في أكثر من كتاب، فيبين أنه نشأ في النعيم، ويقول في صيد الخاطر:

" فمن ألف الترف فينبغي أن يتلطف بنفسه إذا أمكنه، وقد عرفت هذا من نفسي، فإني ربيت في ترف، فلما ابتدأت في التقلل وهجر المشتهى أثر معي مرضًا قطعني عن كثير من التعبد، حتى إني قرأت في أيام كل يوم خمسة أجزاء من القرآن، فتناولت يومًا ما لا يصلح فلم أقدر في ذلك اليوم على قراءتها، فقلت: إن لقمة تؤثر قراءة خمسة أجزاء بكل حرف عشر حسنات، إن تناوله لطاعة عظيمة، وإن مطعمًا يؤذي البدن فيفوّته فعل خير ينبغي أن يهجر، فالعاقل يعطي بدنه من الغذاء ما يوافقه " [1].

فلما بلغ ابن الجوزي رشده شعر بنفسه وبال الترف في طلب العلم، فقنع باليسير واستسهل الصعاب متحملاً كلّ الشدائد والمحن فهمته في

(١) انظر: صيد الخاطر في فصل الرفق بالبدن ص: ٤٤٦.

طلب العلم أنسته كل الترف فانكب على طلب العلم - وهو ألذ من كلّ لذيذ - فيقول عن نفسه: " ولقد كنت في مرحلة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو.

كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها شربة، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم " (١).

قد عاش ابن الجوزي منذ طفولته ورعًا تقيًّا زاهدًا، لا يحب مخالطة الناس خوفًا من ضياع الوقت، ووقوع الهفوات، فصان بذلك نفسه وروحه ووقته: يقول الإمام ابن كثير عند ترجمته له: " وكان - وهو صبي - ديّنًا منجمعاً على نفسه لا يخالط أحدًا ولا يأكل ما فيه شبهة، ولا يخرج من بيته إلاّ للجمعة، وكان لا يلعب مع الصبيان " (٢).

حبه للعزلة:

وكان يحب العزلة تقديرًا لقيمة الوقت وابتعادًا عن الوقوع في اللهو. يقول في صيد الخاطر: " فليس في الدنيا أطيب عيشًا من منفرد عن العالم بالعلم، فهو أنيسه وجليسه، قد قنع بما سلم به دينه من المباحات الحاصلة، لا عن تكلف ولا تضييع دين، وارتدى بالعز عن الذل للدنيا وأهلها، والتحف القناعة باليسير، إذا لم يقدر على الكثير بهذا الاستعفاف يسلم دينه ودنياه، واشتغاله بالعلم يدلّه على الفضائل ويفرجه عن البساتين، فهو يسلم من الشيطان والسلطان والعوام بالعزلة، ولكن لا يصلح هذا إلا للعالم، فإنه إذا اعتزل الجاهل فاته العلم فتحبط " (٣).

---

(١) انظر: صيد الخاطر (١٥٣).
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣ /٥٩٧.
(٣) صيد الخاطر، ص ٣٧٣).

ردّه على المتزهدين والمتصوفين:

في موضع آخر من صيد الخاطر عين فصولاً للرد على العزلة العمياء والمتزهدين فيقول: " فكم فوتت العزلة علمًا يصلح به أصل الدين، وكم أوقعت في بليته هلك بها الدين، وإنما عزلة العالم عن الشر فحسب " (١).

ويقول في ذم المتزهدين والصوفية العمياء: " وإني أرى أكثر الناس قد حادوا عن الشريعة، وصار كلام المتزهدين كأنه شريعة لهم، فيقال: قال أبو طالب المكي: كان من السلف من يزن قوته بكربة فينقص كل يوم. وهذا شيء ما عرفه رسول الله ﷺ، ولا أصحابه وإنما كانوا يأكلون دون الشبع. وما كانت سيرة رسول الله ﷺ وأصحابه على ما المتزهدون عليه اليوم.

فقد كان ﷺ يضحك ويمزح ويختار المستحسنات ويسابق عائشة رضي الله عنها، وكان يأكل اللحم ويحب الحلوى ويستعذب الماء وعلى هذا كانت طريقة أصحابه، فأظهر المتزهدون طرائق كأنها ابتداء شريعة، وكلها على غير الجادة " (٢).

مكانته وثناء العلماء عليه:

لقد أعجب بشخصيته وجهده الجبار علماء أجلاء من بعده فمدحوه وأثنوا عليه. يقول ابن خلكان: " إنه كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وفي صناعة الوعظ صنف في فنون كثير " فعد بعض مؤلَّفاته، ثم قال: " وبالجملة فكتبه تكاد لا تعد، وكتب بخطه شيئًا كثيرًا، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا: إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة فكان ما خصّ كل يوم تسع كراريس " (٣).

---

(١) صيد الخاطر، ص١٣٢.

(٢) صيد الخاطر، ص٤٧١ - ٤٧٢. انظر أيضاً في فصل (حماقة الصوفية في كراهية الدنيا، ص ٢٥ - ٣٥، في صيد الخاطر.

(٣) انظر: وفيات الأعيان ٣٢١/٢ رقم: ٣٤٣.

وكان ابن الجوزي كثير الاطلاع، ومشغوفًا بالقراءة فقد حكى عن نفسه أنه طالع عشرين ألف مجلد أو أكثر، وهو ما يزال طالبًا (١).

يقول في صيد الخاطر: " سبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب التي تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة، فإنه يرى من علوم القوم وعلوّ هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة، وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم، لا ترى فيهم ذا همة عالية فيقتدي به المقتدي ولا صحاب ورع فيستفيد منه الزاهد، فالله الله، وعليكم بملاحظة سير السلف ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، والاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم " (٢).

فقد استطاع بهذا الاطلاع الواسع أن يتفوق على كثير من معاصريه في المشاركة في عديد من العلوم والفنون، فألف في التفسير والحديث والطب والوعظ وغيرها الشيء الكثير، ويبدو أن ابن الجوزي كان ماهرًا في التفسير، وفي التأريخ والوعظ، ومتوسطًا في الفقه، وأما بالنسبة إلى متون الحديث فهو واسع الاطلاع فيها لكنه غير مصيب في الحكم على الصحيح والسقيم.

يقول الذهبي عند ترجمة ابن الجوزي: " كان مبرزًا في التفسير والوعظ والتأريخ، ومتوسطًا في المذهب، وله في الحديث اطلاع تام على متونه، وأما الكلام على صحيحه وسقيمه فما له ذوق المحدثين، ولا نقد الحفاظ المبرزين " (٣).

وقال الذهبي في التأريخ الكبير: " لا يوصف ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة، بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه " (٤).

---

(١) صيد الخاطر، ص٤٤١.

(٢) صيد الخاطر، ص٤٤١.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ رقم الترجمة: (١٠٦٧).

(٤) السيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٤٧٨.

مدرسة ابن الجوزي:

كان له دور كبير ومشاركة فعالة في الخدمات الاجتماعية، وقد بنى مدرسة بدرب دينار وأسس فيها مكتبة كبيرة ووقف عليها كتبه وكان يدرس أيضًا بعده مدارس بغداد.

قال الحافظ ابن الدبيثي عن ابن الجوزي: " كان من أحسن الناس كلامًا، وأتمهم نظامًا، وأعذبهم لسانًا، وأجودهم دينًا، وبورك في عمره وعمله، فروى الكثير، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة وحدث بمصنفاته مرارًا ".

منزلة في الوعظ:

لم يكن جهاده محصورًا في القلم والتأليف إنما كان له شأن عظيم وشهرة كبيرة في الوعظ والخطب والدعوة والإرشاد بين الخواص والعوام.

يقول ابن كثير رحمه الله: " تفرد ابن الجوزي بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه، وفي طريقته وشكله وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه، ونفوذ وعظه، وغوصه في المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة بما يشهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك بحيث يجمع المعاني الكثير في الكلمة اليسيرة " (١).

شجاعته في إظهار الحقّ:

كان لا يخاف في الله لومة اللائم، وكان يحضر في وعظة الرؤساء والخلفاء، وقد التفت مرة إلى ناحية الخليفة المستضيء العبّاسي، وهو يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين إن تكلمت، خفت منك وإن سكتّ خفت عليك، وإن قول القائل لك: اتق الله، خير لك من قوله: لكم أنتم أهل البيت مغفور لكم... وأضاف قائلاً: لقد كان عمر

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ١٣، / ٥٩٧.

بن الخطاب يقول: إذا بلغني من عامل ظلم فلم أغيره فأنا الظالم[1].

وهكذا دافع ابن الجوزي عن الحقّ بدون خوف لومة لائم وحارب البدع والمنكرات والتعصب في المذاهب والتقليد الأعمى، وقد كان يعترف بنجاحه في هذا المجال فيقول: " وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذاهب، فأعانني الله عزوجل عليهم وكانت كلمتنا هي العليا " [2].

محنته في سبيل الحقّ:

وقد امتحن ابن الجوزي رحمه الله، في آخر عمره، وذلك أن الوزير ابن يونس الحنبلي كان في ولايته قد عقد مجلسًا للركن عبد السلام بن عبد الوهّاب بن عبد القادر الجيلي، وأحرقت كتبه. وكان فيها من الزندقة وعبادة النجوم ورأي الأوائل شيء كثير، وذلك بمحضر ابن الجوزي وغيره من العلماء، وانتزع الوزير منه مدرسة جدّه وسلمها إلى ابن الجوزي.

فلما ولى الوزارة ابن القصاب - وكان رافضيًّا خبيثًا - سعى في القبض على ابن يونس وتتبع أصحابه، فقال الركن: أين أنت عن ابن الجوزي، فإنه ناصبي، ومن أولاد أبي بكر، فهو أكبر أصحاب ابن يونس، وأعطاه مدرسة جدي، وأحرقت كتبه في مشورته؟ فكتب ابن القصاب إلى الخليفة الناصر - وكان الناصر له ميل إلى الشيعة - وكان يقصد إيذاء ابن الجوزي فأمر بتسليمه إلى الركن عبد السلام، فجاء إلى دار الشيخ وشتمه وأهانه وختم على داره وشتت عياله، ثم أخذه في سفينة إلى واسط فحبس بها في بيت وبقي يغسل ثوبه ويطبخ، ودام على ذلك خمس سنين وما دخل فيها حمامًا[3].

فالمحنة بشتى أنواعها والصبر عليها والاستمرار على الوقوف

(١) الذيل لابن رجب ٤٠٩/١، وتذكرة الحفاظ للذهبي، رقم الترجمة: (١٠٩٧).
(٢) الذيل لابن رجب ٤٠٣/١.
(٣) الذيل لابن رجب ٤٢٥/١ - ٤٢٦، وتذكرة الحفاظ، رقم الترجمة: (١٠٩٨).

في وجه الباطل والظلم والطاغوت من دأب العلماء العاملين والمجاهدين المخلصين. وقد رسم لنا العلامة ابن الجوزي من خلال حياته سلسة متصلة من الكفاح والجهل الطويل والربط بين العلم والعمل ربطًا وثيقًا.

وقد عقد فصلاً مستقلاً في كتابه صيد الخاطر تحت عنوان: (العلماء العاملون) فمدح فيه من يستحق المدح من أقرانه، وذمّ من يستحق ذلك ثم قال: " فالله الله في العلم بالعمل فإنه الأصل الأكبر. والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة فقدم مفلسًا مع قوّة الحجة عليه " [1].

شعره:

كان " ابن الجوزي " شاعرًا مجيدًا إلى جانب كونه أديبًا بارعًا وخطيبًا مفوهًا، وله أشعار حسنة كثيرة، منها قوله في الفخر:

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا ::: وأكابد النهج العسير الأطولا
تجري بي الآمال في حلباته ::: جري السعيد إلى مدى ما أمّلا
لو كان هذا العلم شخصًا ناطقًا ::: وسألته: هل زار مثلي؟ قال: لا

ومنها قوله في الزهد والقناعة:

إذا قنعت بميسور من القوت ::: بقيت في الناس حرًّا غير ممقوت
يا قوت يومي إذا ما در خلفك لي ::: فلست آسي على در ويا قوت

وأوصى أن يُكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن ::: كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو ::: الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء ::: الضيف إحسان إليه

ما أخذ عليه: رغم وصوله إلى قمة العلم والمعرفة فقد أخذ العلماء عليه مآخذ هامة:

(١) صيد الخاطر ص: ١٤٣ - ١٤٤.

أوّلاً: كان يميل إلى التأويل في بعض كلامه. يقول ابن رجب في الذيل: " اشتد إنكار العلماء عليه في ذلك، وكان مضطربًا في قضية التأويل رغم سعة اطلاعه على الأحاديث في هذا الباب فلم يكن خبيرًا بحل شبه المتكلمين، ويقول: كان أبو الفرج تابعًا لشيخه أبي الوفاء بن عقيل في ذلك، وكان ابن عقيل بارعًا في علم الكلام، ولكنه قليل الخبرة في الأحاديث والآثار لذا نراه مضطربًا في هذا الباب"[١].

نعم، قد نجد ما يثبت ميله إلى التأويل من ثنايا كتبه حيث ألّف كتابًا مستقلاً يناقش هذا الموضوع باسم (دفع شبه التشبيه) وهو مطبوع أورد فيه بعض آيات قرآنية، وستين حديثًا ورد فيها الكلام عن ذات الله وصفاته ﷻ، كالوجه، واليد، والنفس، والساق، والاستواء، فيؤوّلها بما يحتمل التأويل بخلاف ما ذهب إليه السلف من إمرارها كما وردت بدون تأويل ولا تشبيه، ولا تعطيل[٢].

ونجد أيضًا في صيد الخاطر، ينقد نهج السلف فيقول: "... ولا أقوامًا قصرت علومهم فرأت أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعليل، ولو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا " [٣].

وقد قام بالردّ على ما كتبه ابن الجوزي مائلاً إلى التأويل عالم معاصر له، وهو الشيخ إسحاق بن أحمد بن غانم العلثي[٤] حيث كتب رسالة يردّ فيها على ابن الجوزي ردًّا عنيفًا طالبًا فيها العودة إلى

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٤/١، أما ابن عقيل فليس هو شيخه المباشر إنما كان يتبعه بوساطة مؤلفاته، وكانت ولادة ابن الجوزي قبل وفاة ابن عقيل بسنة، وسوف تأتي ترجمته عند أول ذكر له في الكتاب إن شاء الله.

(٢) طبع هذا الكتاب بمصر، ولم يؤرخ، بتحقيق محمد زاهد الكوثري وهو في (٩٦) صفحة.

(٣) انظر: كتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة ص: ١٤، للشيخ عدي بن مسافر الأموي الشامي المتوفى سنة: ٥٥٧هـ.

(٤) صيد الخاطر، ص ٨٣ - ٨٤.

الحقّ وإلى العقيدة السلفية وعلى ما كان عليه إمامه أحمد بن حنبل رحمه الله، حيث يقول فيها: " وإذا تأولت الصفات على اللغة وسوغته لنفسك وأبيت النصيحة، فليس هو مذهب الإمام الكبير أحمد بن حنبل قدس الله روحه، فلا يمكنك الانتساب بهذا، فاختر لنفسك مذهبًا حتى قال: فلقد استراح من خاف مقام ربّه، وأحجم عن الخوض فيما لا يعلم، لئلا يندم. فانتبه قبل الممات، وحسن القول العمل، فقد قرب الأجل لله الأمر من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ".

ثانيًا: كثرة أغلاطه في تصانيفه، وعذره في هذا واضح وهو أنه كان مكثرًا من التصانيف، فيصنف الكتاب ولا يعتبره، بل يشتغل بغيره وربما كتب في الوقت الواحد تصانيف عديدة ولولا ذلك لم تجتمع له هذه المصنفات الكثيرة.

ثالثًا: ما يوجد في كلامه من الثناء على نفسه والترفع والتعاظم، وكثرة الدعاوى، ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف، والله يسامحه) كقوله في صيد الخاطر: "... ونظرت إلى علوّ همتي فرأيتها عجبًا " ويقول في موضع آخر: " خلقت لي همة عالية تطلب الغايات " وأمثال ذلك كثيرة.

والحقيقة في علم ابن الجوزي، فلا يخفى كثرة مآثره ومؤلفاته. ولكن من كان لديه بالعلم والتحقيق العلمي دراية، يعلم أن ابن الجوزي لم يكن من أئمة الفقه ولا الحديث، وإن ألف فيهما ما ألّف. وإنما حصل له ذلك بكثرة اطلاعه وبحثه. قال السيوطي في طبقات الحفاظ (٤٨٠\١): قال الذهبي في التاريخ الكبير: " لا يُوصَفُ ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة، بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه ". ورغم كثرة تآليفه في شتى العلوم، فقد ضَعُفَ من ناحية التحقيق في أكثر العلوم التي ألّف فيها، ولا سيما في الحديث. فتجد كلامه مخالفاً كثيراً لكلام حُفّاظِ الحديث. فالمفترض أن تكون كتبه

مراجع يستعملها طالب العلم المتمكن الذي يستطيع التمييز بين الصواب والخطأ، فلا تُنشر على العامة وصغار المتفقّهة.

قال الإمام موفق الدين عن ابن الجوزي: " كان حافظاً للحديث، إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة ولا طريقته فيها ". وقال عنه الموفق عبد اللطيف: " وكان كثير الغلط فيما يصنفه. فإنه كان يخلو من الكتاب ولا يعتبره ". ذكر ذلك الحافظ ابن عبد الهادي في طبقات علماء الحديث (١٢٢\٤).

فقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٧٨\٢١): " هكذا هو: له أوهامٌ وألوانٌ من ترْك المراجعة، وأخذ العِلم من صُحُف ".

قال الحافظ سيف الدين بن المجد: " هو كثير الوهم جداً، فإن في مشيخته - مع صِغرها - أوهاماً ".

وقيل لابن الأخضر: ألا تجيب عن بعض أوهام ابن الجوزي؟ قال: " إنما يُتتبع على من قل غلطه، فأما هذا فأوهامه كثيرة ".

قال السيف: " ما رأيت أحداً يُعتمد عليه في دينه وعلمه وعقله، راضياً عنه ". وقد عابه الكثير من أهل السنة فأصر على بدعته. وعاتبه أبو الفتح بن المني في أشياء. وقال ابن حجر لسان الميزان (٨٣/٢) بترجمة ثمامة بن الأشرس البصري بعد قصة: " دلّت هذه القصة على أن ابن الجوزي حاطب ليلٍ لا ينتقد ما يحدّث به ". قلت: فمثل هذا الرجل لا يوثق بنقله ولا بكلامه.

ولعل ما قدم للأمة من القدوة الصالحة والخدمة الخالصة التي لا مثيل لها، تغطي مساوئه، وترفع درجاته. لأن الحسنات يذهبن السيئات. والله واسع المغفرة والكرم وهو عليم بذات الصدور.

وفاته:

بعد أن عاش رحمه الله داعيًا مرشدًا كاتبًا بارعًا زاهدًا مخلصًا، قرابة تسعين عامًا، انتقل إلى جوار ربّه ببغداد. وكانت وفاته ليلة الجمعة (١٢ رمضان ٥٩٧هـ) بين العشائين، فغسل وقت السحر،

واجتمع أهل بغداد وحملت جنازته على رؤوس الناس، وكان الجمع كثيرًا جدًّا، وما وصل إلى حفرته إلا وقت صلاة الجمعة، والمؤذن يقول: " الله أكبر "، ودفن بباب حرب، بالقرب من مدفن الإمام أحمد بن حنبل وكان ينشد حال احتضاره يخاطب ربّه:

يـــا كـــثير العفـــو عمـــن ::: كثـــر الـــذنب لديـــه
جـــاءك المـــذنب يرجـــو ::: الصـــفح عـــن جـــرم يديـــه
أنـــا ضـــيف وجـــزاء ::: الضـــيف إحســـان إليـــه

فرحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته ونفعنا بعلومه آمين.

شيوخه:

وقد ألّف في مشيخته كتابًا خاصًّا، ذكر فيه حوالي تسعة وثمانين شيخًا ونرى فيه حسن اختياره للمشايخ حيث تتلمذ على طائفة من خيرة أعلام عصره، ويذكر اهتمامه في اختيار أبرع وأفهم المشايخ في بداية كتابه المذكور، حيث قال: " حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر وأسمعني العوالي، وأثبت سماعاتي كلّها بخطّه، وأخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد المدد لا تكثير العدد ".

فمن مشايخه:

١ - أبو بكر محمّد بن عبد الباقي بن محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت، وتنتهي نسبته إلى كعب بن مالك الأنصاري أحد الثلاثة الذين خلفوا. يقول المؤلِّف: قرأ عليه، وكان ثقة فهمًا حجّة متفننًا في علوم كثيرة، منفردًا في علم الفرائض، وقع في أيدي الروم أسيرًا فأجبروه على أن ينطق كلمة الكفر فلم يفعل. توفي رحمه الله سنة: (٥٣٥هـ).

٢ - أبو بكر محمّد بن الحسن بن على بن إبراهيم المعروف بالمزرعي، قال ابن الجوزي: إنه سمع منه وكان ثقة ثبتًا، عالمًا،

حسن العقيدة، وسمع الحديث الكثير من ابن المهتدي، والصيريفيني وغيرهما. توفي رحمه الله سنة: (٥٢٧هـ).

٣ - أبو الحسن على بن عبد الواحد الدينوري، يقول المؤلِّف: إنه سمع منه الفقه والحديث، والجدل، والخلاف، والأصول، وهو من أقدم شيوخه وكان يسكن باب البصرة من غربي بغداد. وتوفي في جمادى الآخرة سنة: (٥٢١هـ).

٤ - أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، قال ابن الجوزي: إنه سمع منه بقراءة شيخه الأوّل أبي الفضل بن ناصر عليه، وكان عبد الملك صالحًا صدوقًا، سمع جماعة كثيرة وخرج إلى مكة فجاورها. وتوفي في ذي الحجّة بعد رحيل الحجّ بثلاثة أيام سنة: (٥٤٨هـ).

٥ - أبو سعد أحمد بن محمّد بن الحسن بن على البغدادي، يقول ابن الجوزي: إنه سمع منه بقراءة أبي الفضل بن ناصر عليه، وكان خيراً ثقة وأملى بمكة والمدينة وكان على طريقة السلف صحيح العقيدة حلو الشمائل مطرح التكلف. ولد بأصبهان ونشأ بها وتوفي بنهاوند سنة: (٥٤٠هـ).

تلاميذه:

كما اختار ابن الجوزي ثلة من خيرة أساطين علماء عصره، كذلك اختاره هو شيخًا، وأخذ العلم والحكمة على يده نخبة من الأفذاذ فورثوا بعده مقتدين بخطواته في التأليف والنصح والإخلاص، فمنهم:

١ - الحافظ عبد الغني عبد الواحد بن على بن سرور. ولد في أرض نابلس سنة: (٥٤١هـ) سمع الحديث والعلوم من دمشق والموصل وهمدان، والإسكندرية، وكان حافظًا تقيًّا ورعًا، وسمع من ابن الجوزي ببغداد، وألّف كتبًا عديدة، قال يوسف بن خليل: كان ثقة ثبتًا ديّنًا مأمونًا حسن التصنيف دائم الصيام. توفي بمصر سنة: (٦٠٠هـ).

٢ - يوسف بن فرغلي بن عبد الله، أبو المظفر الواعظ، سبط الإمام ابن الجوزي، روى عن جدّه ببغداد، وسمع أبا الفرج بن كليب وغيره، وسمع بالموصل ودمشق، وحدّث بها وبمصر وأعطى القبول، وصنف الكتب العديدة منها: كتاب مرآة الزمان في التأريخ، وشرح الجامع الكبير، واللوامع في أحاديث المختصر، وغيرها. أخذ العلم من ابن الجوزي في بغداد. وتوفي ليلة الثلاثاء الحادي عشر من ذي الحجّة سنة: (٦٥٤هـ).

٣ - أحمد بن عبد الدائم بن نعمة الكاتب المحدّث. ولد سنة: (٥٧٥هـ) في نابلس، ودخل بغداد، وسمع بها ابن الجوزي وغيره، وسمع بدمشق وحران، وكان حسن الخلق والخلق، ديّنًا متواضعًا، وحدّث بالكثير بضعًا وخمسين سنة، وكتب ما لا يوصف كثرة من الكتب الكبار، متأثرًا بشيخه ابن الجوزي حتى صار هو شيخًا للأئمة الكبار، والحفاظ والمحدّثين، والفقهاء كالشيخ محي الدين النووي، وشيخ شمس الدين بن عمر، وشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والشيخ تقي الدين بن تيمية، وأمثالهم، رحمهم الله جميعًا. توفي أحمد بن عبد الدائم سنة: (٦٦٨هـ).

مؤلّفاته:

لقد فارقنا جسمًا وروحًا ولكن ذكراه وثمرات جهده الجبار المرسومة على صفحات التاريخ لم تزل ولا تزال تحيي حياة طيبة، كما قال الشاعر:

الجاهلون فماتوا قبل موتهم ::: والعاملون وإن ماتوا فأحياء

وقد أورد المؤرخون من بعده بكل غرابة وإعجاب مؤلّفاته الضخمة في كتبهم فيقول الإمام ابن تيمية رحمه الله في (أجوبته المصرية): " كان الشيخ أبو الفرج مفتيًا كثير التصنيف والتأليف وله مصنفات في أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف، ورأيت بعد ذلك ما لم أره ".

ويقول الحافظ الذهبي: " ما علمت أن أحدًا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل ".

ويصفه صاحب البداية والنهاية بأنه: " أحد أفراد العلماء برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره، ومجموع المصنفات الكبار والصغار نحوًا من ثلاثمائة مصنف وكتب بيده نحوًا من مائتي مجلد. وله في العلوم كلّها اليد الطولى، والمشاركات في جميع أنواعها؛ من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنجوم والطب والفقه. وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات في ذلك كلّه ما يضيق هذا المكان عن تعدادها، وحصر أفرادها، منها: كتابه في التفسير المشهور بـ (زاد المسير) وله تفسير أبسط منه - أي أوسع - لكنه ليس بمشهور. وله جامع المسانيد استوعب غالب مسند أحمد وصحيحي البخاري ومسلم وجامع الترمذي، وله كتاب (المنتظم في تاريخ الأمم من العرب والعجم) في عشرين مجلدًا، (ويقول ابن كثير): ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار هو تاريخًا:

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهدًا ::: حتى رأيتك في التاريخ مكتوبًا

وقد أورد ابن رجب عن القطيعي في تأريخه، ثبت التصانيف التي كتبها ابن الجوزي بخطّه فذكر فيه حوالي ١٩٩ كتابًا. منها:

ثبت تصانيفه المتعلقة بالقرآن وعلومه :

كتاب المغنى في التفسير واحد وثمانون جزءًا.

كتاب زاد المسير في علم التفسير أربع مجلدات.

كتاب تيسير البيان في تفسير القرآن مجلد واحد.

كتاب تذكرة الأريب في تفسير الغريب مجلد واحد.

كتاب غريب الغريب جزء واحد.

كتاب نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر مجلد واحد.

كتاب الوجوه النواضر في الوجه والنظائر في مجلد واحد قال

ابن الجوزى إنه اختصره من الكتاب السابق.

كتاب الإشارة إلى القراءة المختارة أربعة أجزاء.

كتاب تذكرة المنتبه في عيون المشتبه جزء واحد.

كتاب فنون الأفنان في عيون علوم القرآن مجلد واحد.

كتاب ورد الأغصان في فنون الأفنان جزء واحد.

كتاب عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ في خمسة أجزاء.

كتاب المصفى بأكف أهل الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ جزء واحد.

ثبت تصانيفه في أصول الدين:

كتاب منتقد المعتقد جزء واحد.

كتاب منهاج الوصول إلى علوم الأصول خمسة أجزاء.

كتاب بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد جزء واحد.

كتاب غوامض الإلهيات جزء واحد.

كتاب مسلك العقل جزء واحد كتاب منهاج أهل الإصابة.

كتاب السر المصون مجلد واحد.

كتاب دفع شبه التشبيه أربعة أجزاء.

كتاب الرد على المتعصب العنيد في منع ذم يزيد (والمتعصب العنيد عند ابن الجوزي هو عبد المغيث الحربي الحنبلي الذي له مؤلف في منع لعن وذم يزيد بن أبي معاوية بن أبي سفيان الأموي).

ثبت تصانيفه في علم الحديث والزهديات:

كتاب جامع المسانيد والألقاب بالخص الأسانيد وهو كتاب كبير رتبه الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الله المعروف بالمحب الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ هـ.

كتاب الحدائق أربعة وثلاثون جزءًا.

كتاب نفي النقل في خمسة أجزاء.

كتاب المجتبى في مجلد واحد.

كتاب النزهة جزآن.

كتاب عيون الحكايات مجلد واحد.

ملتقط الحكايات ثلاثة عشر جزءًا.

كتاب إرشاد المريدين في حكايات السلف الصالحين مجلد واحد.

كتاب روضة الناقل جزء واحد.

كتاب غرر الأثر ثلاثون جزءًا.

كتاب التحقيق في أحاديث التعليق مجلدان.

كتاب المديح سبعة أجزاء.

كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات مجلدان.

كتاب العلل المتناهية في الأحاديث الواهية مجلدان.

كتاب الضعفاء والمتروكين مجلد واحد.

كتاب الكشف لمشكل الصحيحين أربع مجلدات.

كتاب إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه مجلد واحد.

كتاب أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث جزء واحد.

كتاب السهم المصيب جزآن.

كتاب أخاير الذخائر ثلاثة أجزاء.

تاب الفوائد عن الشيوخ ستون جزءًا.

كتاب مناقب أصحاب الحديث مجلد واحد.

كتاب موت الخضر مجلد واحد.

كتاب مختصر موت الخضر جزء واحد.
كتاب المشيخة جزء واحد.
كتاب المسلسلات جزء واحد.
كتاب المحتسب في النسب مجلد واحد.
كتاب تحفة الطلاب ثلاثة أجزاء.
كتاب تنوير مدلهم الشرف جزء واحد.
كتاب الألقاب جزء واحد.

ويضيف ابن القطيعي المؤرخ المشهور ما يلي على مؤلفات ابن الجوزي.

كتاب فضائل عمر بن الخطاب مجلد واحد.
كتاب فضائل عمر بن العزيز (مجلد واحد).
كتاب فضائل سعيد بن المسيب (مجلد واحد)..
كتاب فضائل الحسن البصري مجلد واحد.
كتاب مناقب الفضيل بن عياض أربعة أجزاء.
كتاب مناقب بشر الحافي سبعة أجزاء.
كتاب مناقب إبراهيم بن أدهم ستة أجزاء.
كتاب مناقب سفيان الثوري مجلد واحد.
كتاب مناقب أحمد بن حنبل مجلد واحد.
كتاب مناقب معروف الكرخي جزآن.
كتاب مناقب رابعة العدوية جزء واحد.
كتاب مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن مجلد واحد.
كتاب صفة الصفوة خمس مجلدات.
كتاب منهاج القاصدين أربع مجلدات.

كتاب المختار من أخبار الأخيار مجلد واحد كتاب القاطع لمحال اللجاج القاطع بمحال الحلاج (جزء واحد)..

كتاب عجالة المنتظر لشرح حال الخضر جزء واحد.

كتاب النساء وما يتعلق بآدابهن مجلد واحد.

كتاب علم الحديث المنقول في أن أبا بكر أم الرسول جزء واحد (في هذا الجزء حاول نفي ذلك وقد حاول عبد المغيث الحربي بن زهير ابن علوي المحدث الزاهد أبو العز بن أبي حرب أن يثبت ذلك في كتاب له بعنوان في إثبات صلاة النبي ﷺ خلف أبي بكر).

كتاب الجوهر.

كتاب المغلق.

ثبت تصانيفه في التواريخ وما يتعلق بها:

كتاب تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير عبارة عن مجلد واحد.

كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم عشر مجلدات.

كتاب شذور العقود في تاريخ المعهود مجلد واحد.

كتاب طراف الطرائف في تاريخ السوالف جزء واحد.

كتاب مناقب بغداد مجلد واحد.

ثبت مصنفاته في الفقه:

كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف.

كتاب جنة النظر وجنة المنتظر وهي التعليقة الوسطى.

كتاب مقتصر المختصر في مسائل النظر وهي دون تلك.

كتاب عمد الدلائل في مشتهر المسائل وهي التعليقة الصغرى.

كتاب المذهب في المذهب.

كتاب مسبوك الذهب في المذهب مجلد واحد في الفروع.

كتاب النبذة جزء واحد.
كتاب العبادات الخمس جزء واحد.
كتاب أسباب الهداية لأرباب البداية مجلد واحد.
كتاب أسباب كشف الظلمة عن الضياء في رد دعوى.
كتاب رد اللوم والضيم في صوم يوم الغيم جزء واحد.

مصنفاته في الوعظ:

قال ابن القادسي له أكثر من مائة مجلدة نذكر منها:
كتاب اليواقيت في الخطب مجلد واحد.
كتاب المنتخب في الثوب مجلد واحد.
كتاب منتخب المنتخب مجلد واحد.
كتاب نسيم الرياض مجلد واحد.
كتاب اللؤلؤ مجلد واحد.
كتاب المذكر مجلد واحد.
كتاب الأزج مجلد واحد.
كتاب اللطائف مجلد واحد.
كتاب كنوز الرموز مجلد واحد.
كتاب المقتبس مجلد واحد.
كتاب زين القصص مجلد واحد.
كتاب موافق المرافق مجلد واحد.
كتاب شاهد ومشهود مجلد واحد.
كتاب واسطات العقود من شاهد ومشهود مجلد واحد.
كتاب اللهب جزآن.
كتاب المدهش مجلدان.

كتاب صبا نجد جزء واحد.
كتاب محادثة العقل جزء واحد.
كتاب لقط الجمان جزء واحد.
كتاب معاني المعاني جزء واحد.
كتاب فتوح الفتوح مجلد واحد.
كتاب التعازي الملوكية جزء واحد.
كتاب العقد المقيم جزء واحد.
كتاب إيقاظ الوسنان من الرقدات بأحوال الحيوان والنبات جزءان.
كتاب نكت المجالس البدرية جزآن.
كتاب نزهة الأديب جزآن.
كتاب منتهى المنتهى مجلد.
كتاب تبصرة المبتدىء عشرون جزءًا.
كتاب الياقوتة جزآن.
كتاب تحفة الوعاظ مجلد.

تصانيفه في فنون ذم الهوى:

كتاب ذم الهوي مجلدان.
كتاب صيد الخاطر خمسة وستون جزءا.
كتاب أحكام الإشعار بأحكام الأشعار عشرون جزءًا.
كتاب القصاص والمذكرين.
كتاب تقويم اللسان مجلد واحد.
كتاب الأذكياء مجلد واحد.
كتاب الحمقى مجلد واحد.
كتاب تلبيس إبليس مجلدان.

كتاب لقط المنافع في الطب مجلدان.
كتاب الشيب والخضاب مجلد واحد.
كتاب أعمار الأعيان جزء واحد.
كتاب الثبات عند الممات جزآن.
كتاب تنوير الغبش في فضل السود والحبش مجلد واحد.
كتاب الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ جزء واحد.
كتاب إشراف الموالى جزآن.
كتاب إعلام الأحياء بإغلاط الإحياء.
تاب تحريم المحل المكروه جزء واحد.
كتاب المصباح المضىء لدعوة الإمام المستضىء مجلد واحد.
كتاب عطف العلماء على الأمراء والأمراء على العلماء جزء واحد.
كتاب النصر على مصر جزء واحد.
كتاب المجد العضدي مجلد واحد.
كتاب الفجر النورى مجلد واحد.
كتاب مناقب الستر الرفيع جزء واحد.
كتاب ما قلته من الأشعار جزء واحد.
كتاب المقامات مجلد واحد.
كتاب من رسائلي رسائل ابن الجوزي في جزء واحد.
كتاب الطب الروماني جزء واحد.

هذا ما نقله ابن القطيعي من خطه وقرأ عليه وزاد فيه ومع هذا فلأبي الفرج تصانيف أخرى كثيرة غير ما ذكر في هذا الفهرست وقدر علمي أنه صنفها بعد ذلك منها.

كتاب بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب يقع في ستة عشر جزءا.

كتاب الباز الأشهب المنقض على من خالف المذهب وهو عبارة عن تعليقة في الفقه مجلد كبير.

كتاب الوفاء بفضائل المصطفى مجلدان.

كتاب النور في فضائل الأيام والشهور مجلد واحد.

كتاب تقريب الطريق الأبعد في فضائل مقبرة أحمد.

كتاب مناقب الإمام الشافعي.

كتاب العزلة.

كتاب الرياضة.

كتاب منهاج الإصابة في محبة الصحابة.

كتاب فنون الألباب.

كتاب الظرفاء والمتحابين.

كتاب مناقب أبي بكر مجلد واحد.

كتاب مناقب على مجلد واحد.

كتاب فضائل العرب مجلد واحد.

كتاب درة الأكليل في التاريخ أربع مجلدات.

كتاب الأمثال مجلد واحد.

كتاب المنفعة في المذاهب الأربعة مجلدان.

كتاب المختار من الأشعار عشر مجلدات.

كتاب رؤوس القوارير مجلدان.

كتاب المرتجل في الوعظ مجلد كبير.

كتاب ذخيرة الواعظ أجزاء.

كتاب الزجر المخوف.

كتاب الأنس والمحبة.

كتاب المطرب الملهب.
تاب الزند الورى في الوعظ الناصري جزآن.
كتاب الفاخر في أيام الإمام الناصر مجلد.
كتاب المجد الصلاحي مجلد.
كتاب لغة الفقه جزآن.
كتاب عقد الخناصر في ذم الخليفة الناصر.
كتاب في ذم عبد القادر.
كتاب غريب الحديث مجلد واحد.
كتاب ملح الأحاديث جزآن.
كتاب الفصول الوعظية على حروف المعجم.
كتاب سلوة الأحزان عشر مجلدات.
كتاب المعشوق في الوعظ.
كتاب المجالس اليوسيفية وهي في الوعظ كتبها لابنه يوسف.
كتاب الوعظ المقبري جزء واحد.
كتاب قيام الليل ثلاثة أجزاء.
كتاب المحادثة جزء واحد.
كتاب المناجاة جزء واحد.
كتاب زاهر الجواهر في الوعظ ويقع في أربعة أجزاء.
كتاب كنز المذكر.
كتاب النجاة بالخواتيم جزآن.
كتاب المرتقى لمن اتقى.

وله أيضا من المؤلفات ما ذكرته كتب أهل الثقة الأعلام:

كتاب كشف النقاب عن الأسماء والألقاب وهو مخطوط بليدن

١٤٨٧ لم يثبت بعد في الفهرس وله أيضًا تصانيف أخرى غير هذه وقد اختصر فنون ابن عقيل في بضعة عشر مجلدًا [١].

(١) مصادر ترجمة ابن الجوزي:.
يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن عبد الهادي الدمشقي ت ٩٠٩هـ، معجم الكتب، تحقيق: يسرى عبد الغني البشري، نشر مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، القاهرة.
عبد الحميد العلوجي، مؤلفات ابن الجوزي، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٣٨٥هـ /١٩٦٥م.
مقدمة تحقيق كتاب نواسخ القرآن لابن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف على المليباري، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- الذيل لابن رجب.
- الحافظ المنذري، التكملة لوفيات النقلة.
- الذهبي، تذكرة الحفاظ.
- السيوطي، طبقات الحفاظ.
الشيخ عدي بن مسافرالأموي الشامي المتوفى سنة: ٥٥٧هـ.
- كتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة.
ومفتاح السعادة١/٢٠٧.
المختصر المحتاج إليه ٢/٢٠٥ - ٢٠٨.
ودول الإسلام ٢/١٠٦.
والعسجد المسبوك ٢/٢٦٨.
وغاية النهاية ١/٣٧٥.
وعقود الجوهر ص: ٣٩ - ٤٥.
والمجددون في الإسلام ص: ٢٣٢ - ٢٤٠.
ودائرة المعارف الإسلامية ١/١٢٥.
والأعلام ٤/٨٩ - ٩٠.
ومرآة الجنان ٣/٤٨٩ - ٤٩٢.
البداية والنهاية.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب.
- العبر في خبر من غبر.
- الكامل في التاريخ ابن الأثير.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبو المحاسن يوسف بن تغري بردي.

فهذه هي بعض مؤلّفاته وثمرات جهده الجبار. وتلك هي بعض ملامح ذلك الرجل الفذ الذي له ثقله ووزنه في ميزان العلم والعلماء حتى اليوم.

* * *

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان.

أبو المحاسن
بـن تغري بـردي

من مشاهير أعلام المسلمين

أبو المحاسن بن تغري بردي

يوسف بن تغري بردي [1] بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين البشقاوى القاهرى: مؤرخ بحاثة. من أهل القاهرة، مولدا ووفاة. كان أبوه من مماليك الظاهر برقوق ومن أمراء جيشه المقدمين، نائب الشام يعرف بابن تغرى بردى الأديب المؤرخ ولد سنة ٨١٣ هـ، وتوفى سنة ٨٧٤ هـ أربع وسبعين وثمانمائة، ولد بالقاهرة ورباه زوج أخته قاضي القضاة ناصر الدين ابن العديم الحنفي. تفقه بشمس الدين محمد الرومي وبالعيني وغيرهما.

وأخذ النحو عن الشمنى ولازمه كثيرًا. وأخذ البديع والأدبيات عن الشهاب بن عربشاه وحضر على ابن حجر العسقلاني وانتفع به. ثم حبب إليه علم التاريخ.

فلازم مؤرخي عصره مثل العيني والمقريزي واجتهد في ذلك إلى الغاية وساعدته جودة ذهنه وحسن تصوره وصحة فهمه. ومهر وكتب وصنف وانتهت إليه رئاسة هذا الشأن في عصره، وتأدب وتفقه وقرأ الحديث، وأولع بالتاريخ وبرع في فنون الفروسية وامتاز في علم النغم والإيقاع [2].

من مؤلفاته:

(١) تغري بردي:كلمة تترية، بمعنى " عطاء الله " أو " الله أعطى " كان يكتبها الأتراك " تكري ويردي " ويلفظون الكاف نونًا، والواو أقرب إلى ال ٧ بحركة بين الفتح والكسر.

(٢) الزركلي، الأعلام، ٨ / ٢٢٢ - ٢٢٣، هدية العارفين في أسماء المؤلفين طـ إحياء التراث، ٤ / ١١٢، معجم المطبوعات، ١ / ٥٢.

١ - حلية الصفات في الأسماء والصناعات في الأدب. جمع فيه أشعار على ترتيب الحروف فكتب ما يتعلق بطول الليل في حرف الطاء مثلا.

٢ - حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ذيلا على تاريخ المقريزى المسمى بالسلوك. ويعتبر ذيل على كتاب " السلوك للمقريزي " حيث يقول أبو المحاسن بن تغربردي في أوله: (الحمد لله مدبر الدهور ومدول الأيام والشهور... إلخ).

ثم قال: لما كان شيخنا المقريزي أتقن من حرر تاريخ الزمان وأجل تحفة اخترعها: (كتاب السلوك) قد انتهى فيه إلى: أواخر سنة ٨٤٤، أربع وأربعين وثمانمائة وهي التي توفي فيها.

ولم يأت بعده من يعول عليه في هذا الفن إلا الشيخ بدر الدين محمود العيني فنظرت فيما علقه في تلك الأيام فإذا به كثير الغلطات والأوهام لكبر سنه واختلاط ذهنه بحيث أنه لا يمكن الاستفادة منه إلا بعد تعب لاختلاف الضبط وعدم التحرير فأحببت: أن أكتب تاريخا يعقب موت الشيخ وجعلته: كالذيل على (السلوك) وسميته (حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور).

لكن لم أسلك فيه: طريق الشيخ في تطويل الحوادث في السنة وقصر التراجم في الوفيات بل أوسعت في التراجم لتكثير الفائدة فيه من الطرفين وما وجدته مختصرا من التراجم فراجع إلى: (المنهل الصافي) فإني هناك شفيت الغلة.

٣ - الدليل الشافي على المنهل الصافى في تراجم الأعيان. في مجلد صغير، وهو اختصار لكتاب المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي وسماه: (الدليل الشافي على المنهل الصافي) وأوله: (الحمد لله الذي لا يستدل عليه إلا به... إلخ) قال: جعلته لتاريخنا المسمى: (بالمنهل الصافي) كالديباجة ورتبته على: ترتيبه من: أوله إلى آخره... واختصرت فيه التراجم جدا ليكون الناظر في ذلك على

بصيرة.

٤ - السكر الفاضح والعطر الفائح.

٥ - الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة.

٦ - المنهل الصافى في تراجم الاعيان على الحروف.

٧ - السكر الفاضح والعطر الفائح.

٨ - الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة.

٩ - المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى في التاريخ والتراجم.

١٠ - مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة في التاريخ. اقتصر فيه على ذكر الخلفاء والسلاطين من غير مزيد، واستفتح: بذكر مولد سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - ووفاته، ثم ابتدأ من: الخلفاء الراشدين إلى خليفة وقته: القائم بأمر الله - تعالى - حمزة، ثم ذكر: العبيديين ثم ذكر ملوك مصر من أول الدولة الأيوبية إلى الدولة الجركسية.

١١ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. أوله: (الحمد لله الذي أيد الإسلام بمبعث سيد الأنام... إلخ) استفتحه: بفتح مصر ومن حضرها من الصحابة، ثم من وليها، وما وقع في زمانه ومن توفي من الأعيان بدأ فيه بولاية عمرو بن العاص إلى الدولة الأشرفية الأينالية وهذا تاريخ كبير مرتب على السنين ابتدأ فيه من الفتح العمري إلى زمانه، وذكر من ولي مصر من السلاطين والنواب في كل سنة ذكرا مبسوطا أصالة، وذكر ملوك الأطراف والوقائع إجمالا ضمنا، وذكر من توفي من الأعيان والعلماء والملوك، وأشار إلى زيادة النيل ونقصانه بعبارة مبسوطة، ولما فتح السلطان سليم الديار المصرية وجد ذلك التاريخ واستحسنه فأمر المولى شمس الدين حمد بن سليمان بن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠ أن يترجمه إلى التركية وهو يومئذ قاض بعسكر أناطولي فنقل في كل منزل جزءا وبيضه المولى حسن المعروف بأشجي زاده ثم عرضه إلى السلطان في

الطريق فأعجبه وأمر بنقله هكذا فعل إلى تمامه.

ولخص المصنف كتابه وسماه (الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة) وهو مجلد أوله (الحمد لله الذي زين السماء الدنيا بالنجوم الزاهرة... إلخ) ذكر أنه اختصره حذرًا من أن يختصره غيره على تبويبه وفصوله واقتضى في ذلك بجماعة من العلماء: كالذهبي والمقريزي فإن الذهبي:

اختصر (تاريخ الإسلام): (بسير النبلاء) ثم اختصر (سير النبلاء): (بالعبر) ثم اختصر (العبر): (بالإشارة إلى وفيات الأعيان)

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات في بلدان مختلفة منها:

طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

وطبعة دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤١٣هـ.

وطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٥م.

وطبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر.

وغيرها الكثير من الطبعات.

١٢ - نزهة الرأى في التاريخ،هو تاريخ مفصل على السنين والشهور والأيام [١].

١٣ - سكب الادب شرح لامية العرب [٢].

أما كتاب " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " موضوع الاختصار فيعد أشهر تآليف ابن تغري بردي الجليلة الممتعة، ومن أكبر الموسوعات الأدبية والتاريخية. أرخ فيه لمصر، منذ الفتح الإسلامي سنة ٢٠هـ إلى خلال سنة ٨٧٢هـ. قال في مقدمته: (لما كان لمصر ميزة على كل بلد بخدمة الحرمين الشريفين، أحببت أن

(١) هدية العارفين في أسماء المؤلفين، ط إحياء التراث، ٤ / ١١٣.

(٢) كشف الظنون، ٢ / ١٩٤٢.

أجعل تاريخاً لملوكها... واستطرد فيه إلى ذكر ما بني فيها من المباني الزاهرة، كالميادين والجوامع، ومقياس النيل، وعمارة القاهرة، أولاً بأول، أذكره في يوم مبناه وفي زمن سلطانه، مستوعباً لهذا المعنى ضابطاً لشانه).

وقد كان للمستشرقين عناية كبيرة بهذا الكتاب، فترجموه إلى معظم اللغات الأوربية، ويذكر أن السلطان سليم لما فتح مصر حمل إليه هذا الكتاب، فنظر فيه وأمر بترجمته إلى التركية؛ ذلك لأنه تأليف ابن والي بلاد الشام (تغري بردي)، فقام بمهمة الترجمة كبير علماء عصره (ابن الكمال). وكان أول من نشر منه قسماً في أوروبا: المستشرق الهولندي (يونبل) في ليدن، بين سنتي (١٨٥١و ١٨٥٥م) حيث نشر منه مجلدين، يشتملان على الأحداث، من سنة (٢٠هـ حتى ٣٦٥هـ) مع مقدمة وملاحظات باللغة اللاتينية. ثم قام المستشرق الأمريكي (وليم بوبر) بنشر عشرة مجلدات منه، تبدأ من حيث انتهى (يونبل) وتنتهي بآخر الكتاب، غير أنها تنقصها الأحداث: من سنة ٥٦٥هـ حتى سنة ٨٠٠هـ، وطبع عمله بجامعة كاليفورنيا، من سنة (١٩٠٩ حتى ١٩٢٩م). وطبع الكتاب كاملاً في القاهرة سنة ١٩٦٣م في ثمانية مجلدات ضخمة.

قال حاجي خليفة: (واختصره بنفسه وسماه (الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة) في مجلد واحد، واحتذى في ذلك بجماعة من العلماء كالمقريزي والذهبي، فإن الذهبي اختصر (تاريخ الإسلام) في (سير النبلاء) ثم اختصر (سير النبلاء) في (العبر) ثم اختصر العبر في (الإشارة إلى وفيات الأعيان)..). للكتاب نسخ نادرة في بعض مكتبات العالم، أهمها: نسخة مكتبة آياصوفيا بتركيا، في سبعة مجلدات، ينقصها المجلد الثاني.

* * *

محمد بن سعد

من مشاهير أعلام المسلمين

VL3

محمد بن سعد وكتاب الطبقات [1]

حقيقة إن المعلومات التي نحتاجها لنرسم منها صورة لسيرة محمد بن سعد في كتابه " الطبقات الكبري " قليلة لا تفي بشيء؛ لأن محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري المكنى بأبي عبد الله، يظهر لنا في كتابه " الطبقات الكبري " في شخصية الراوية الذي لم يسمح لذاته وعلاقاته وأحواله بأن تدل على ما يرويه، أو أن تتدخل فيه، وإنه لمن المفارقات أن ترى الشخص الذي حفظ لنا الصفات الخُلقية والخِلقية وأدق المظاهر أحياناً عن حياة الأشخاص، لا يجد من يكتب عنه ترجمة موضحة.

نشأته:

فتقول التراجم التي جمعناها له: إنه ولد سنة ١٦٨هـ بالبصرة، فنسب إليها، وارتحل إلى بغداد وأقام فيها ملازماً لأستاذه الواقدي يكتب له، حتى عرف باسم " كاتب الواقدي ". وكانت له رحلة إلى المدينة والكوفة، ولا ريب في أن رحلته إلى المدينة تمت قبل سنة ٢٠٠هـ، فهو يذكر أنه لقي فيها بعض الشيوخ عام ١٨٩هـ، كما أن أكثر الذين روى عنهم من أهلها أدركتهم المنية قبل مطلع القرن الثالث. وقد كان أحد أجداده مولى لبني هاشم، ولكن ابن سعد نفسه

(١) مصادر الترجمة: ابن النديم، الفهرست، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل رقم: ١٤٣٣، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٥/ ٣٢١، ابن خلكان، وفيات الأعيان رقم: ٦١٧، الصفدي، الوافي، ٣/ ٨٨ (رقم ١٠٠٩)، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، الجزري، طبقات القراء ١/ ١٤٢.

كان قد تحلل من عهدة الولاء، وفي نسبته أنه زهري، وهي نسبة غريبة بعدما صرحت الروايات بولاء أهله لبني هاشم.

رحلته العلمية:

لقد جاب ابن سعد الأقطار طلبًا لعلم الحديث، وتفرغ لدراسته من منابعه الأصيلة، وكان شغله الشاغل هو لقاء الشيوخ وكتابة الحديث وجمع الكتب؛ ولذلك اتصل بأعلام عصره من المحدثين فروى عنهم وقيد مروياته، وأفاد منها في تصنيف كتبه حتى وصف بأنه كان كثير العلم، كثير الحديث والرواية، كثير الكتب.

ونستطيع أن نقول: إن محمد بن سعد كان على اتصال بأكبر رجال الحديث في عصره، سواء أكانوا شيوخاً أم تلامذة. ومن يطلع على الطبقات يجد له شيوخاً كثيرين منهم سفيان بن عيينة، وأبو الوليد الطيالسي، ومحمد بن سعدان الضرير، ووكيع بن الجراح، وسليمان بن حرب، وهيثم، والفضل بن دكين، والوليد بن مسلم، ومعن بن عيسى، وعشرات غيرهم، ولو راجع القارئ تراجم هؤلاء الشيوخ في كتب الرجال، لوجد معظمهم ممن لا يشك في عدالته. وهذا ما يجعلنا نعتقد أن المادة التي نقلها ابن سعد قد وجهت بالنقد الضمني لأنه تحرى قبل نقلها أن تكون في الأكثر مأخوذة عن العدول الثقات. وهذا الموقف هو الذي كسب لابن سعد تقدير معاصريه ومن بعدهم، فكلهم تقريباً وثقه وأثنى عليه حتى قال فيه الخطيب: " محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه، فإنه يتحرى في كثير من رواياته ".

وقال ابن خلكان: " كان صدوقاً ثقة ".

وقال ابن حجر: " أحد الحفاظ الكبار الثقات المتحرين "، ووصفوه بالفضل والفهم والنبل، وفضلوه على أستاذه الواقدي ضعيف.

ولم تقتصر ثقافة ابن سعد على الحديث والأخبار والسير بل إنه

كتب الغريب والفقه، وربما دلت صلته بالنحويين واللغويين مثل أبي زيد الأنصاري على استكماله للنواحي اللغوية والنحوية، على نحو واسع. أما صلته بمحمد ابن سعدان الضرير وهو من مشهوري القراء فتدل على اهتمامه بالقراءات. وقد صرح ابن الجزري بأن ابن سعد روى الحروف عن محمد بن عمر الواقدي ثم رواها عنه الحارث بن أبي أسامة. وكان توفره على كتابة تراجم الرجال سبباً في اطلاعه الواسع على علم الأنساب، ويبدو من الطبقات أنه أحكم هذا الفرع إحكاماً جيداً بحيث تمكن فيه من المناقشة والترجيح، وعمدته في ذلك رواية أستاذه الواقدي، ورواية ابن إسحاق، ورواية ابن عمارة الأنصاري في نسب الأنصار، ورواية هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وعن هذا الأخير روى ابن سعد كتابه " جمهرة الأنساب ".

أما تلامذته فهم كثيرون أيضاً، ومنهم أحمد بن عبيد، وابن أبي الدنيا والبلاذري، والحارث بن أبي أسامة، والحسين بن فهم وغيرهم.

مؤلفاته:

لم يتوقف نشاط ابن سعد عند تأليف كتاب " الطبقات "، وعلى سعة باعه في نواحٍ علمية كثيرة، فإن المصادر لم تذكر له من المؤلفات إلا كتابين آخرين - عدا الطبقات الكبير - وهما كتاب " الطبقات الصغير "، وهو مستخرج من المؤلف الأول، وكتاب " أخبار النبي " - وهو الكتاب الوحيد الذي ذكره ابن النديم - وربما لم يكن شيء سوى الجزأين الأولين من الطبقات الكبير، أي أن الكتب الثلاثة في حقيقتها كتاب واحد، وتسكت المصادر عما سوى ذلك من مؤلفات.

وفاته:

وتكاد المصادر تجمع على أن ابن سعد توفي يوم الأحد لأربع

خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٣٠هـ، بمدينة بغداد ودفن في مقبرة باب الشام وهو يومئذ ابن اثنتين وستين سنة. وهذا الخبر منقول عن الحسين بن فهم أحد تلامذته الأدنين، وأحد اثنين رويا كتاب الطبقات. ولكن ابن أبي حاتم يذكر أنه توفي سنة ست وثلاثين (يعني ومائتين) وقال الصفدي في الوافي: إنه توفي سنة ٢٢٢ هـ على خلاف في ذلك. ويبدو أن رواية ابن فهم هي الصحيحة، فأما رواية الصفدي في الوافي فواضحة الخطأ لأن ابن سعد يؤرخ لأناس توفوا سنة ٢٢٨ هـ و٢٢٩هـ وليس هناك ما يدل على أن ذلك مما زاده الرواة الذين نقلوا الكتاب. أما رواية ابن أبي حاتم فقد كتبت بالأرقام لا بالحروف وهي في شكلها الذي كتبت به لا تسلم من الخطأ.

وكتاب " الطبقات " معرض لنواح كثيرة من ثقافة وعلم ابن سعد، وهو عمل ضخم أراده أن يكون في خمسة عشر مجلداً، ليخدم به السنة أو علم الحديث، فتحدث فيه عن الحبيب محمد ﷺ والصحابة والتابعين إلى عصرهم مقتفياً خطى أستاذه الواقدي الذي ألف أيضاً كتاب " الطبقات "، وقد خصص ابن سعد أكثر الجزأين الأولين لسيرة الحبيب محمد ﷺ، ثم أضاف فصلاً عن الذين كانوا يفتون بالمدينة على عهد الحبيب محمد ﷺ، ثم أخذ يترجم في الأخير الذي خصصه للنساء. وقد راعى في التراجم عنصرين: عنصر الزمان وعنصر المكان - أما عنصر الزمان فقد تدخل في بناء الطبقات من أولها إلى آخرها، وكانت السابقة إلى الإسلام هي المحور الأكبر فيه، سواء اتصلت بالهجرة إلى الحبشة ثم بموقعة بدر أو وقتت بما قبل فتح مكة، أو غير ذلك من النقط الزمنية التي وجهت التقسيم في ذلك الكتاب. ومن ثم بدأ بالمهاجرين البدريين ثم بالأنصار البدريين ثم بمن أسلم قديماً ولم يشهد بدراً وإنما هاجر إلى الحبشة أو شهد أُحداً (فالبدريون مفضلون على من عداهم) ثم من أسلم قبل فتح مكة وهكذا. ونلاحظ في هذه القسمة أن ابن سعد احتذى فيها شيئاً شبيهاً بما صنعه عمر بن الخطاب عندما دون الدواوين.

وبعد هذا تدخل العنصر المكاني فأخذ يترجم للصحابة ومن بعدهم على حسب الأمصار التي نزلوا فسمى من كان بالمدينة ومكة والطائف واليمن واليمامة، ثم من نزل الكوفة، ثم من نزل البصرة، ومن كان موطنه الشام ومصر وغيرهم. وفي أثناء هذا التقسيم التفت إلى التقسيمات المكانية، وبخاصة عند الحديث عن التابعين لأنه ترجم لهم في الطبقات، والطبقة في العادة تساوي جيلاً أو عشرين سنة أو عشر سنين، وهي تساوي في كتاب ابن سعد عشرين سنة تقريباً، فمثلاً تراوح نهاية الطبقة الثالثة بين سنتي ١٠٨ - ١١٣ وتراوح نهاية الطبقة الرابعة بين سنتي ١٢٦ - ١٣٢.

وقد أظهر هذا التقسيم عيباً واحداً في الكتاب إذ قد يكون أحد الأشخاص داخلاً في غير موضع واحد في هذا المنهج الكبير، أي قد يكون أحد الناس بدريًّا، ممن يفتي أيام الرسول، ثم هاجر إلى مصر من الأمصار وعلى هذا فلا بد له من ثلاث تراجم، غير أن ابن سعد كان على وعي بهذا؛ ولذلك ففي مثل هذه الأحوال تجده يطيل الترجمة في موطن واحد، ويوجز في المواطن الأخرى.

وهناك مظهر آخر لهذا التقسيم نتج من الاعتماد الكلي على الرواية وذلك هو أننا كلما ابتعدنا عن الطبقات الأولى التي تهم ابن سعد الرواية عنها من جميع النواحي، أخذت الترجمة تتذاءل وتقل قيمتها، وبدلاً من أن يكتب ابن سعد ترجمات مستفيضة لمن عاصرهم، نجده اكتفى في هذا بقولة موجزة وأفاض كثيراً في تراجم الصحابة وكبار التابعين وبلغ من الدقة حدًّا يجعل من كتابه وثيقة بالغة القيمة.

وقد اختفت شخصية ابن سعد أو كادت وراء السند، وليس لابن سعد في الكتاب تعليقات كثيرة ولكن ما يوجد منها يدل على قدرة نقدية طيبة.

ويجب أن نذكر أن كتاب الطبقات من أوائل ما ألف في هذا

الموضوع، وإننا لا نعلم كتاباً سبقه إلا طبقات الواقدي، وتذكر هذه الحقيقة يجعلنا ندرك قيمة الكتاب من حيث هو مصدر قديم ومن حيث هو أحد النماذج الأولى في موضوع " الرجال ". حقًّا إن التأليف في هذه الناحية كثر من بعده، وربما انقسم التأليف في الطبقات بعده قسمين، قسم خاص بالصحابة وقسم خاص بسائر رجال الحديث من بعدهم، ولكن أثر كتاب ابن سعد، سواء ذكر اسمه أو لم يذكر، قد ظهر في التواليف التي جاءت من بعد. فنحن نعلم أن الصلة بين ابن سعد والبلاذري مثلاً كانت وثيقة، وأن مادة ابن سعد قد تركت أثراً واضحاً في كتاب " فتوح البلدان "، وكتاب " أنساب الأشراف "، والثاني من هذين الكتابين صورة أخرى للتأليف في الطبقات. وفي كتاب ابن سعد فصول هي الأصل الذي احتذاه المؤلفون في " دلائل النبوة " كأبي نعيم والبيهقي وعنه نقل ابن مندة في طبقاته، ويمكن أن تقارن أصول السند عنده بما عند ابي نعيم الأصفهاني في " حلية الأولياء " فإن المتن متشابه وطرق الإسناد هي نفس طرق ابن سعد، متجهة اتجاهاً آخر، على أيدي رواة آخرين. ومن الغريب أن ابن عبد البر القرطبي في " الاستيعاب " لا يذكر أنه اعتمد على طبقات ابن سعد ويقول: إنه استمد من طبقات الواقدي نفسه عن طريق محمد بن سعد عن طرق إبراهيم بن موسى بن جميل (س٠ ٣٠٠) وهذا الأخير أندلسي هاجر إلى المشرق وسمع ابن حنبل وابن أبي الدنيا وابن قتيبة وابن سعد نفسه.

وتظل شهرة ابن سعد بين الأندلسيين محدودة - بعكس طبقات الواقدي - حتى إن الكلاعي مؤلف " الاكتفاء " اعتمد على ابن إسحاق وموسى بن عقبة والواقدي ومصعب الزبيري ولم يذكر شيئاً عن ابن سعد وطبقاته. على أنّا نجد أندلسياً متأخراً ينقل عنه وهو ابن أبي بكر (- ٧٤١) في كتابه " التمهيد والبين في مقتل الشهيد عثمان "، وهو كتاب ما يزال مخطوطاً. وأغرب من هذا أمر المشارقة وبخاصة ابن الأثير مؤلف " أسد الغابة " فإنه اكتفى في كتابه هذا

بالاعتماد على أربعة كتب هي: كتاب ابن مندة، وكتاب أبي نعيم، وكتاب ابن عبد البر، ثم تذييل الحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى الأصفهاني. وواضح من هذا أن كتاب ابن سعد يدخل في " أسد الغابة " دخولاً غير مباشر، ولكن إغفال ابن الأثير له أمر يستوقف النظر.

غير أن طبقات ابن سعد، مع ذلك كله، مصدر هام عند ابن عساكر في كتابه " تاريخ دمشق " ومصدر هام في " تاريخ الإسلام " للذهبي وفي " تجريد أسماء الصحابة " و" سير أعلام النبلاء " ومعتمد في " الإصابة " و" تهذيب التهذيب " لابن حجر. وينقل عنه ابن كثير في تاريخه ويصرح ابن تغري بردي بقوله: " ونقلنا عنه كثيراً في هذا الكتاب " - أي كتاب النجوم الزاهرة - وكذلك كان مرجعاً لمن كتبوا في السيرة من المتأخرين كالمقريزي في " إمتاع الأسماع "، ولكثير من الكتب في الرجال.

ومنذ سنة ١٩٠٣ عمل في نشر هذا الكتاب جماعة من العلماء الألمان، فأشرف عليه سخاو، وأعانه فيه هوروفنز، ومنوخ، وبروكلمان وشوالي ولبرت وميسنر وسترستين، وكان اعتمادهم على مخطوطات خمس وجدوها، فجاء عملهم في حدود الإمكانات التي توفرت لهم جيداً مضبوطاً دقيقاً. فإعادة طبع هذا الكتاب اليوم عمل هام ضروري، غايته تقريبه من أيدي الدارسين وتسهيل وصوله إليهم، ففي صفحاته كنز لا ينضب من المعرفة لمن شاء أن يدرس سيرة الرسول وحياة القرنين الأولين من تاريخ الإسلام، وهو المنبع الذي يمد الباحثين بموضوعات جديدة في كتابة السير والبحث عن طرق الإسناد وكيفية تدوين الحديث، ويعلمنا الشيء الكثير عن الأمور الاجتماعية المتصلة بحياة البيت والسوق وأمور الزي والطعام والشراب، وعن جوانب من الأعمال والمهن والحياة التجارية، وعن كثير من النواحي الثقافية والأحكام الفقهية، والصراع

بين السنة والأهواء، وعن عشرات من الموضوعات، كل ذلك في لغة سهلة مستوية جزلة، وفي اعتدال وقصد وموضوعية وتجرد لا يستطيعه إلا من كان مخلصاً، كابن سعد، يقدم الغاية العلمية على كل شيء آخر [1].

* * *

(١) مقدمة تحقيق كتاب الطبقات الكبرى، للمحقق إحسان عباس، طبعة دار صادر ببيروت، محمد أحمد حامد الأزوري، منهج ابن سعد في نقد الرواة من خلال الطبقات الكبرى، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤١٧هـ.

الإمـام الذهبـي

من مشاهير أعلام المسلمين

الإمام الذهبي

هو الشيخ الإمام الحافظ الكبير، مؤرخ الإسلام، شيخ المحدثين، محدث العصر، وخاتمة الحفاظ، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبي التركماني الفارقي ثم الدمشقي، الشافعي، المقرئ.

يرجع الذهبي إلى أصول تركمانية، فهو من أسرة تركمانية الأصل، سكنت مدينة مَيَّافارقين من أشهر مدن ديار بكر،ويرجع في ولائه[1] إلى بني تميم.

ولد الذهبي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة، في مدينة دمشق، وعاش في أجواء أسرة متدينة متعلمة ميسورة الحال، الأمر الذي ساعده على التحصيل العلمي منذ نعومة أظفاره، فمن جهة والده، كان والده شهاب الدين أحمد بن عثمان قد طلب العلم، وسمع الصحيح من المقداد القيسي سنة (٦٦٦هـ)، وقد ترجم له الذهبي في معجم شيوخه، وقد توفي والده سنة (٦٩٧هـ)، وكذلك استفاد الذهبي من عمته ست الأهل بنت عثمان بن قايماز، وهي أمه من الرضاعة، وكان قد أجاز لها ابن أبي اليسر، وجمال الدين بن مالك، وزهير بن عمر الزرعي، وجماعة. وسمعت من عمر بن

(١) المقصود بالولاء هنا:.
أ - ولاء عتق: وهو الغالب بحيث ينسب إلى من أعتقه.
ب - وإما أن يكون ولاء إسلام: وذلك بأن يسلم العجمي على يد العربي.
ج - وإما أن يكون ولاء حلف: وذلك بأن يكون الشخص حليفاً لقبيلة فينسب إليها.
انظر: المنهل الراوي من تقريب النواوي (ص١٩٩ - ٢٠٠).

القواس وغيره.

فروى الذهبي عنها، وكانت وفاتها سنة (٧٢٩هـ).

وأما من جهة والدته: فإنها ابنة علم الدين، أبو بكر سنجر بن عبد الله الموصلي، فقد كان خيراً، عاقلاً، مديراً للمناشير بديوان الجيش، مات سنة (٦٨٠هـ).

ولما كان الذهبي من أسرة متدينة متعلمة، ميسورة الحال،فقد دفعتت به إلى كتاتيب تعليم القرآن في صغره، وفرغته بعد ذلك لطلب العلم وتحصيله من ريعان شبابه، بدلاً من الانشغال في تحصيل قوته وطلب رزقه. ولم يكن يكدر صفو هذه النعمة إلا امتناع والده عن السماح له بالرحلة في طلب العلم إلا في رحلات قصيرة لا تتجاوز أربعة أشهر، وذلك لخوفه عليه وشدة تعلقه به.

والعامل الثاني الذي أثر في نشأة الذهبي، فهو بلده دمشق التي كانت تجمع في ذلك العصر شموس العلم من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ المزي وغيرهما، فقد حظي الذهبي برفقة هؤلاء والإفادة منهم، وأضف إلى ذلك اشتهار دمشق في ذلك الحين بكبريات دور الحديث، كدار الحديث الظاهرية، ودار الحديث السكرية، ودار الحديث الأشرفية، وغيرها. فقد كانت دمشق في ذلك العصر مركز إشعاع علمي وخاصة في علوم الحديث.

وقد بدأ الذهبي بدايته العلمية بحفظ كتاب الله تعالى، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وذلك على يد أحد المؤدبين، واسمه علاء الدين على ابن محمد الحلبي، المعروف بالبصبص، حيث أقام الذهبي في مَكْتَبِه أربعة أعوام.

ثم انتقل الذهبي بعدها إلى الشيخ مسعود بن عبد الله الأغزازي، فلقنه جميع القرآن، ثم قرأ عليه نحو من أربعين ختمة.

تلك هي بواكير دراسته، والتي تبعها بعد ذلك جلوسه في مجالس الشيوخ، وذلك ببلوغ سن الثامنة عشرة، حيث تعتبر هذه السن عند

الذهبي بداية مرحلة العناية بطلب العلم، وقد ركز في تلك المرحلة على علمين شريفين عظيمين هما:

علم القراءات وعلم الحديث، فلازم كبار علماء القراءات في عصره، حتى أصبح متقناً لهذا الفن وأصوله ومسائله، مما حذا بالشيخ محمد بن عبد العزيز الدمياطي - وهو من المقرئين المجودين - أن يتنازل له عن حلقته بالجامع الأموي، عقب مرض الشيخ، الذي توفي على إثره سنة (٦٩٣هـ).

إلا أن الذهبي لم يستمر في ذلك المنصب إلا قرابة السنة بسبب انشغاله بالرحلة إلى طلب العلم.

وأما علم الحديث، فقد كان له النصيب الأوفر عند الذهبي، حيث اعتنى به العناية الفائقة حتى أصبح هذا العلم هو شغله الشاغل طيلة حياته، فقد سمع الذهبي مئات الكتب والأجزاء الحديثية.

ومع عناية الذهبي بعلمي القراءات والحديث في تلك المرحلة، إلا أنه لم يهمل علوم العربية والأدب والتاريخ، فقد عني بدراسة النحو، فسمع " الحاجبية " على شيخه موفق الدين أبي عبد الله محمد بن أبي العلاء - النصيبي المتوفى سنة (٦٩٥هـ).

كما دَرَسَ على شيخ العربية، وإمام أهل الأدب في مصر آنذاك، الشيخ محمد بن إبراهيم بن النحاس الحلبي المتوفى سنة (٦٩٨هـ).

" إضافة إلى سماعه لعدد كبير من مجاميع الشعر واللغة والأدب "، وقد تعاطى الشعر، ونظم اليسير منه.

" واهتم بالكتب التاريخية، فسمع عدداً كبيراً منها على شيوخه، في المغازي، والسيرة، والتاريخ العام، ومعجمات الشيوخ والمشيخات، وكتب التراجم الأخرى ".

وفي العموم فقد اعتنى الذهبي في فترة تحصيله بشتى العلوم الدينية مع ما تحتاجه تلك العلوم من علوم الآلة ونحوها من العلوم المساعدة مع أنه لم ينقطع عن التحصيل والسماع طوال حياته، يشهد لذلك معجمات

شيوخه ومؤلفاته الموسوعية التي تؤكد دراسته لعدد ضخم من المؤلفات في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، واللغة، والأدب، وغيرها.

وقد انعكس هذا التحصيل الواسع على مؤلفاته التي تشهد له بسعة الإطلاع وغزارة الإنتاج مع القوة والتمكن في مختلف العلوم.

ومن أشهر كتبه في علوم الحديث " ميزان الاعتدال في نقد الرجال ".

وأما علم التاريخ والتراجم:

فالذهبي صاحب الموسوعات الكبار في هذا المجال، والتي أهمها " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام "، و" سير أعلام النبلاء "، و" العبر "، و" دول الإسلام "، و" تذكرة الحفاظ "، وغيرها كثير، وقد أظهر الذهبي في تلك المؤلفات براعة في العرض، ودقة في التحليل والنقد، مع غزارة في المعلومات، تشهد له بالذكاء والعبقرية وقوة الحافظة، لدرجة أن ابن حجر - مع فضله وجلالة قدره - شرب ماء زمزم سائلاً الله أن يصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ والفطنة.

وقد عول الكتاب والعلماء على مؤلفاته، وأصبحت عمدة لهم فيما كتبوا وألفوا من بعده. وقد عد الذهبي والمزي أكبر المؤرخين في القرن الثامن.

وقد عُرف الذهبي - رحمه الله - بمواقفه التي تدعو إلى التمسك بعقيدة السلف الصالح علماً واعتقاداً وعملاً ودعوة وتعليماً، ويظهر ذلك جليًّا لمن اطلع على مصنفاته سواء ما يتعلق منها بمسائل الاعتقاد مثل كتاب " العلو "، وكتاب " العرش "، وكتاب " الأربعين في صفات رب العالمين "، ورسالة " التمسك بالسنن والتحذير من البدع وغيرها "، أو كتبه الأخرى في علوم الحديث وغيرها.

فقد سطر الذهبي بيراعه معتقد السلف وأثبته في تلك الكتب،

ونافح ودافع عن عقيدة أهل السنة وأثنى على أهلها بما يستحقونه من الأوصاف، كما أبرز جهودهم العلمية والعملية في نشر السنة ونصرتها، وفي الوقت ذاته سلط قلمه على أهل البدع والأهواء، فما يمر على صاحب بدعة إلا ويشير إلى بدعته، ويبين وجه انحرافه، وقول أهل السنة فيه وفي بدعته، وإن كان في بعض الأحيان يوجد في كلامه بعض التساهل مع بعض المبتدعة لكنه قليل ومحدود.

والحقيقة التي يجب الإشارة إليها والإشادة بها في هذا المقام، أن الذهبي قام رحمه الله على ثغرة عظيمة، هي علم الرجال والتراجم، فاعتنى بها واهتم بأمرها اهتماماً كبيراً، حتى أصبحت محور تفكيره وأساس كثير من كتبه، فقام بخدمة هذا الجانب خير قيام، وذلك وفق منهج أهل السنة والجماعة، على غرار ما فعل شيخه وصاحبه شيخ الإسلام ابن تيمية في خدمة مسائل الاعتقاد والرد على أصحاب المقالات، فكل من الإمامين قام على ثغرة، وقام بأكبر خدمة.

فقد شوه أصحاب البدع وأرباب المقالات حقائق التاريخ وسير العلماء بما دسوا فيها من الأكاذيب والأباطيل، كما فعلوا في مسائل الاعتقاد الأمر ذاته.

فتصدى الذهبي - رحمه الله تعالى - للجانب التاريخي فوضع الأمور في نصابها وأوضح بجلاء سير أعلام السنة على وجهها الصحيح وحلاها بأجمل الحلل وكساها أبهى العبارات.

وقام في الوقت ذاته بفضح أهل البدع والأهواء وكشف باطلهم، الأمر الذي أثار حفيظة أهل البدع والأهواء ونقمتهم على كتب الإمام الذهبي لما لها من ثقل ووزن في فنها، فهي تعد غصة في حلوق أهل الكلام والمتصوفة والرافضة ومن على شاكلتهم، لكونها كشفت عورات زعمائهم وأظهرت بطلان عقائدهم.

وكان الذهبي معروفاً في حياته بمواقفه الصلبة من العقائد المنحرفة وأهلها، كما اشتهر عنه صلته الوثيقة وموافقته لشيخ الإسلام

ابن تيمية في نصرة السنة ومحاربة البدعة، الأمر الذي جعل الأشاعرة من الشافعية بدمشق يمانعون في توليه لمشيخة أكبر دار للحديث بدمشق حينذاك، وهي دار الحديث الأشرفية، التي شغرت مشيختها بعد وفاة رفيقه المزي سنة (٧٤٢هـ)، رغم ترشيح قاضي القضاة على بن عبد الكافي السبكي أن يعين الذهبي لها، وكان السبب في رفضهم كون الذهبي ليس بأشعري.

ومعلوم أن الصراع كان على أشده في ذلك الحين بدمشق بين أنصار المنهج السلفي وخصومهم من أهل الكلام والمتصوفة.

ولكن مع ذلك كله فاللذهبي بعض المواقف المخالفة في المسائل المتعلقة بالقبور وتعظيمها لا يُقر عليها ولا يُوافق.

واشتهر الذهبي بكثرة التصنيف حتى قال عنه ابن حجر: " كان أكثر أهل عصره تصنيفاً ".

وقد اجتهد الدكتور بشار عواد في جمع أسماء مؤلفات الذهبي في كتابه " الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام "، وقد بلغ مجموع ما سمي من مؤلفاته (٢١٥) مؤلفاً. ونظراً لكثرتها فإني سوف أكتفي بذكر أسمائها:

أولا: القراءآت:

١ - التلويحات في علم القراءآت.

ثانيا: الحديث:

٢ - الأربعون البلدانية.

٣ - الثلاثون البلدانية.

٤ - طرق حديث " من كنت مولاه فعلي مولاه ".

٥ - الكلام على حديث الطير.

٦ - المستدرك على مستدرك الحاكم.

ثالثا: مصطلح الحديث وآدابه:

٧ - كتاب الزيادة المضطربة.
٨ - طريق أحاديث النزول.
٩ - العذب السلسل في الحديث المسلسل.
١٠ - منية الطالب لأعز المطالب.
١١ - الموقظة في علم مصطلح الحديث (باريس: ٤٥٧٧).

رابعا: العقائد:

١٢ - أحاديث الصفات.
٣ - الأربعين في صفات رب العالمين.
١٤ - جزء في الشفاعة.
١٥ - جزآن في صفة النار.
١٦ - الرسالة الذهبية إلى ابن تيمية.
١٧ - الروع والاوجال في نبأ المسيح الدجال.
١٨ - رؤية الباري.
١٩ - العرش.
٢٠ - العلو للعلي الغفار.
٢١ - الكبائر.
٢٢ - ما بعد الموت.
٢٣ - مسألة دوام النار.
٢٤ - مسألة الغيبة.
٢٥ - مسألة الوعيد.

خامسا: أصول الفقه:

٢٦ - مسألة الاجتهاد.
٢٧ - مسألة خبر الواحد.

سادسا: الفقه:

٢٨ - تحريم أدبار النساء.

٢٩ - تشبيه الخسيس بأهل الخميس.

٣٠ - جزء في الخضاب.

٣١ - جزء من صلاة التسبيح.

٣٢ - جزء في القهقهة.

٣٣ - حقوق الجار.

٣٤ - فضائل الحج وأفعاله.

٣٥ - اللباس.

٣٦ - مسألة السماع.

٣٧ - الوتر.

سابعا: الرقائق:

٣٨ - جزء في محبة الصالحين.

٣٩ - دعاء المكروب.

٤٠ - ذكر الولدان.

٤١ - التعزية الحسنة بالأعزة.

٤٢ - كشف الكربة عند فقد الأحبة.

ثامنا: التاريخ والتراجم:

٤٣ - أخبار السد.

٤٤ - أخبار قضاة دمشق.

٤٥ - أسماء من عاش ثمانين سنة بعد شيخ أو بعد تاريخ سماع.

٤٦ - الإشارة إلى وفيات الأعيان والمنتقى من تاريخ الإسلام.

٤٧ - الإعلام بوفيات الأعلام.

٤٨ - الأمصار ذوات الآثار.
٤٩ - أهل المئة فصاعدا.
٥٠ - البيان عن اسم ابن فلان.
٥١ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام.
٥٢ - التاريخ الممتع.
٥٣ - تذكرة الحفاظ.
٥٤ - تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق.
٥٥ - تسمية رجال صحيح مسلم الذين انفرد بهم عن البخاري.
٥٦ - تقييد المهمل.
٥٧ - التلويح بمن سبق ولحق.
٥٨ - جزء أربعة تعاصروا.
٥٩ - دول الإسلام.
٦٠ - ديوان الضعفاء والمتروكين.
٦١ - ذكر من اشتهر بكنيته من الاعيان.
٦٢ - ذكر من يؤتمن قوله في الجرح والتعديل.
٦٣ - ذيل الاشارة إلى وفيات الاعيان.
٦٤ - ذيل دول الإسلام.
٦٥ - ذيل سير أعلام النبلاء.
٦٦ - ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين.
٦٧ - ذيل كتاب الضعفاء لابن الجوزي.
٦٨ - الذيل على ذيل كتاب الضعفاء لابن الجوزي.
٦٩ - ذيل العبر في خبر من عبر.
٧٠ - الرد على ابن القطان.

٧١ - الزلازل.
٧٢ - سير أعلام النبلاء.
٧٣ - طبقات الشيوخ.
٧٤ - العباب في التاريخ.
٧٥ - العبر في خبر من عبر.
٧٦ - عنوان السير في ذكر الصحابة.
٧٧ - القبان (في أصحاب التقي ابن تيمية).
٧٨ - المجرد في أسماء رجال كتب سنن الامام أبي عبد الله بن ماجة سوى من أخرج له منهم في أحد الصحيحين.
٦٩ - المرتجل في الكنى.
٨٠ - المشتبه في الرجال: أسمائهم وأنسابهم.
٨١ - معجم الشيوخ الكبير.
٨٣ - المعجم الصغير (اللطيف).
٨٤ - المعجم المختص بمحدثي العصر.
٨٥ - معرفة آل مندة.
٨٦ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار.
٨٧ - المعين في طبقات المحدثين.
٨٨ - المغني في الضعفاء.
٨٩ - المقدمة ذات النقاط في الالقاب.
٩٠ - من تكلم فيه وهو موثق.
٩١ - الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم.
٩٢ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال.
٩٣ - هالة البدر في عدد أهل بدر.

تاسعا: السير والتراجم المفردة:

٩٤ - أخبار أبي مسلم الخراساني.

٩٥ - أخبار أم المؤمنين عائشة.

٩٦ - التبيان في مناقب عثمان.

٩٧ - ترجمة ابن عقدة الكوفي.

٩٨ - ترجمة أبي حنيفة.

٩٩ - ترجمة أبي يوسف القاضي.

١٠٠ - ترجمة أحمد بن حنبل.

١٠١ - ترجمة الخضر.

١٠٢ - ترجمة السلفي.

١٠٣ - ترجمة الشافعي.

١٠٤ - ترجمة الشيخ الموفق.

١٠٥ - ترجمة مالك بن أنس.

١٠٦ - ترجمة محمد بن الحسن الشيباني.

١٠٧ - توقيف أهل التوفيق على مناقب الصديق.

١٠٨ - الدرة اليتيمية في سيرة التيمية.

١٠٩ - الزخرف القصري (في ترجمة الحسن البصري).

١١٠ - سيرة الحلاج.

١١١ - سيرة أبي القاسم الطبراني.

١١٢ - سيرة سعيد بن المسيب.

١١٣ - سيرة عمر بن عبد العزيز.

١١٤ - السيرة النبوية (وهي في تاريخ الإسلام).

١١٥ - فتح المطالب في مناقب على بن أبي طالب.

١١٦ - قض نهارك بأخبار ابن المبارك.

١١٧ - مناقب البخاري.

١١٨ - نعم السمر في سيرة عمر.

١١٩ - نفض الجعبة في أخبار شعبة.

١٢٠ - سيرة لنفسه.

عاشرًا: المنوعات:

١٢١ - بيان زغل العلم والطلب.

١٢٢ - التمسك بالسنن.

١٢٣ - جزء في فضل آية الكرسي.

١٢٤ - الطب النبوي (وينسب لغيره أيضا).

١٢٥ - كسر وثن رتن.

أحد عشر: المختصرات والمنتقيات:

١٢٦ - أحاديث مختارة من الموضاعات من " الأباطيل " للجورقاني.

١٢٧ - بلبل الروض.

١٢٨ - تجريد أسماء الصحابة. اختصره من " أسد الغابة " لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ.

١٢٩ - تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال.

١٣٠ - ترتيب " الموضوعات " لابن الجوزي.

١٣١ - تلخيص " العلل المتناهية في الأحاديث الواهية " لابن الجوزي.

١٣٢ - تنقيح كتاب " التحقيق في أحاديث التعليق " لابن الجوزي.

١٣٣ - تهذيب تاريخ علم الدين البرزالي.

١٣٤ - ذكر الجهر بالبسملة مختصرًا. اختصره من تصنيف في هذا الموضوع للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ.

١٣٥ - الرخصة في الغناء والطرب بشرطه. اختصره من كتاب " السماع " للأدفوي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.

١٣٦ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. اختصره من " تهذيب الكمال " لشيخه ورفيقه المزي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ.

١٣٧ - المجرد من " تهذيب الكمال ".

١٣٨ - مختصر " إنباه الرواة على أنباه النحاة " لابن القفطي.

١٣٩ - مختصر " الأنساب " لابي سعد السمعاني.

١٤٠ - مختصر " البعث والنشور " للبيهقي.

١٤١ - مختصر " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي.

١٤٢ - مختصر " تاريخ دمشق " لابن عساكر.

١٤٣ - مختصر " تاريخ مصر " لابن يونس.

١٤٤ - مختصر " تاريخ نيسابور " لأبي عبد الله الحاكم.

١٤٥ - مختصر " تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف " للمزي.

١٤٦ - مختصر " تقويم البلدان " لابي الفدا.

١٤٧ - مختصر " التكملة لكتاب الصلة " لابن الابار.

١٤٨ - مختصر " التكملة لوفيات النقلة " للمنذري.

١٤٩ - مختصر " جامع بيان العلم وفضله " لابن عبد البر.

١٥٠ - مختصر " الجهاد " لبهاء الدين ابن عساكر.

١٥١ - مختصر " ذيل تاريخ بغداد " لأبي سعد السمعاني.

١٥٢ - مختصر " الرد على ابن طاهر " لابن المجد.

١٥٣ - مختصر " الروضتين في أخبار الدولتين " وذيله لأبي

شامة.

١٥٤ - مختصر " الزهد " للبيهقي.

١٥٥ - مختصر " سلاح المؤمن في الأدعية المأثورة " لابن الإمام.

١٥٦ - مختصر " صلة التكملة لوفيات النقلة " لعز الدين الحسيني.

١٥٧ - مختصر " الضعفاء " لابن الجوزي.

١٥٨ - مختصر " الفاروق في الصفات " لشيخ الإسلام الأنصاري.

١٥٩ - مختصر " القدر " للبيهقي.

١٦٠ - المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد بن الدبيثي.

١٦١ - مختصر " المدخل إلى كتاب السنن " للبيهقي.

١٦٢ - مختصر " المستدرك على الصحيحين " لأبي عبد الله الحاكم.

١٦٣ - مختصر " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " للمراكشي.

١٦٤ - مختصر " مناقب سفيان الثوري " لابن الجوزي.

١٦٥ - مختصر " وفيات الاعيان " لابن خلكان.

١٦٦ - مختصر " الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الاحكام " لابن القطان.

١٦٧ - المستحلى في اختصار " المحلى " لابن حزم.

١٦٨ - معرفة التابعين من " الثقات " لابن حبان.

١٦٩ - المقتضب من " تهذيب الكمال " للمزي.

١٧٠ - المقتنى في سرد الكنى. اختصره من كتاب " الكنى " لابي أحمد الحاكم المتوفى سنة ٣٧٨).

١٧١ - المنتخب من " التاريخ المجدد لمدينة السلام " لابن النجار البغدادي.

١٧٢ - منتقى " الاستيعاب في معرفة الأصحاب "، لابن عبد البر.

١٧٣ - المنتقى من تاريخ أبي الفدا.

١٧٤ - المنتقى من " تاريخ خوارزم " لابن أرسلان الخوارزمي.

١٧٥ - المنتقى من " مسند " أبي عوانة.

١٧٦ - المنتقى من " مسند " عبد بن حميد.

١٧٧ - المنتقى من " معجم شيوخ " يوسف بن خليل الدمشقي.

١٧٨ - المنتقى من معجمي الطبراني الأوسط والكبير ومن مسند المقلين لدعلج.

١٧٩ - المنتقى من " معرفة الصحابة " لابن مندة.

١٨٠ - مهذب " السنن الكبرى " للبيهقي.

١٨٢ - نبذة من فوائد تاريخ ابن الجزري.

١٨٣ - النبلاء في شيوخ السنة. اختصره من كتاب " المعجم المشتمل على أسماء شيوخ الائمة النبل " لابن عساكر.

اثنا عشر: التخاريج:

قام الذهبي بتخريج عدد كبير من معجمات الشيوخ والمشيخات والأربعينات والأجزاء الحديثية الكبيرة والصغيرة، منها:

أ - معجمات الشيوخ:

١٨٤ - معجم شيوخ ابن البالسي المتوفى سنة ٧١١ هـ.

١٨٥ - معجم شيوخ ابن حبيب الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ.

١٨٦ - معجم شيوخ علاء الدين ابن العطار الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٤ هـ.

١٨٧ - المعجم العلي للقاضي الحنبلي (أبي الفضل سليمان بن حمزة المقدسي المتوفى سنة ٧١٥ هـ).

ب - المشيخات:

١٨٨ - مشيخة التلي (محمد بن أحمد الصالحي الخياط المتوفى سنة ٧٤١ هـ).

١٨٩ - مشيخة الجعبري المتوفى سنة ٧٠٦ هـ.

١٩٠ - مشيخة ابن الزراد الحريري المتوفى سنة ٧٢٦ هـ.

١٩١ - مشيخة عز الدين المقدسي المتوفى سنة ٧٠٠ هـ.

١٩٢ - مشيخة ابن القواس المتوفى سنة ٦٩٨ هـ.

١٩٣ - مشيخة زين الدين الكحال المتوفى سنة ٧٣٠ هـ.

ج - الأربعينات:

١٩٤ - أربعون حديثًا بلدانية من " المعجم الصغير " للطبراني.

١٩٥ - أربعون حديثًا بلدانية من " معجم " ابن جميع الصيداوي.

١٩٦ - أربعون حديثًا بلدانية من " معجم شيوخ " أبي بكر المقدسي

المتوفى سنة ٧١٨ هـ.

١٩٧ - أربعون حديثًا بلدانية من " معجم شيوخ " ابن زاذان المتوفى سنة ٤٨١ هـ.

١٩٨ - أربعون حديثًا لأبي المعالي الإبرقوهي المتوفى سنة ٧٠١ هـ.

١٩٩ - أربعون حديثًا لابنه أبي هريرة عبد الرحمان المتوفى

سنة ٧٩٩ هـ.

د – الثلاثينات:

٢٠٠ - ثلاثون حديثًا من " المعجم الصغير " للطبراني.

هـ – العوالي:

٢٠١ - عوالي الشمس ابن الواسطي المتوفى سنة ٦٩٩ هـ.

٢٠٢ - عوالي الطاووسي المتوفى سنة ٧٠٤ هـ.

٢٠٣ - عوالي أبي عبد الله بن اليونيني المتوفى سنة ٧٤٧ هـ.

٢٠٤ - العوالي من حديث مالك بن أنس.

٢٠٥ - العوالي المنتقاة من حديث الذهبي.

و– الاجزاء:

٢٠٦ - الجزء الملقب بالدينار من حديث المشايخ الكبار.

٢٠٧ - جزء من حديث القزويني المتوفى سنة ٧٠٤ هـ.

٢٠٨ - جزء من حديث أبي بكر المرسي المتوفى سنة ٧١٨ هـ.

٢٠٩ - جزء من حديث ابن المحب المقدسي المتوفى سنة ٧٣٠ هـ.

٢١٠ - جزء من حديث ابن الكويك المتوفى سنة ٧٣٤ هـ.

٢١١ - جزء من حديث أمين الدين الواني المتوفى سنة ٧٣٥ هـ.

٢١٢ - جزء من حديث ابن جماعة الكناني المتوفى سنة ٧٦٧ هـ.

٢١٣ - أحاديث " مختصر " ابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ.

٢١٤ - ثلاثيات ابن ماجة.

٢١٥ - المنتقى من حديث تقي الدين ابن الشيخ شمس الدين بن المجد البعلي.

وتوفي الذهبي رحمه الله تعالى قبل منتصف ليلة الاثنين، ثالث

ذي القعدة، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وكان قد بلغ من العمر حينذاك خمسة وسبعين عاماً وسبعة أشهر.

وكانت وفاته بدمشق، ودفن رحمه الله بمقبرة الباب الصغير، وحضر الصلاة عليه جملة من العلماء، وكان رحمه الله قد كف بصره قبل موته بسبع سنين. قال تلميذه الحسيني: " أضر في سنة إحدى وأربعين، ومات في ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق، ودفن في مقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى " [1].

* * *

(١) مصادر ترجمة الإمام الذهبي: الوافي بالوفيات للصفدي (١٦٣/٢). البداية والنهاية لابن كثير (٢٢٥/١٤). شذرات الذهب لابن العماد (١٥٣/٦). طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥١٧). طبقات الشافعية الكبرى (١٠٠/٩، ترجمة رقم ١٣٠٦). الدرر الكامنة لابن حجر (٤٢٦/٣). البدر الطالع للشوكاني (١١٠/٢). غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٧١/٢). النجوم الزاهرة (١٨٢/١٠). نكت الهميان للصفدي (ص٢٤١). ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ص٣٤، ٣٤٧). الرد الوافر لابن ناصر الدين (ص٣١ - ٣٢). رونق الألفاظ لسبط ابن حجر (ق١٨٠). مقدمة سير أعلام النبلاء لبشار عواد (٧/١ - ١٤٦). الذهبي ومنهجه في كتابه التاريخ لبشار عواد.
طبقات الشافعية للإسنوي (٥٥٨/١، ترجمة رقم ٥١٤). الدارس في أخبار المدارس (٧٨/١). وفيات الأعيان (٣٧٠/٢، ترجمة رقم ٣٩١). الدليل الشافي على المنهل الصافي (٥٩١/٢، ترجمة رقم ٢٠٢٩). هدية العارفين (٢٨٩/٨). الأعلام (٢٢٢/٦). معجم المؤلفين (٢٨٩/٨).، كتاب العرش، تحقيق: محمد بن خليفة بن على التميمي، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مقدمة كتاب سير أعلام النبلاء طبعة دار الرسالة، تحقيق شعيب الأرناؤوط. مقدمة كتاب الكبائر، تحقيق عبد المحسن قاسم البزاز، ط دار الصابوني، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.